فتاوى أزهرية وأفكار فلسفية

قصص فكاهية

سامر إسلامبولي



الكتاب: **فتاوى أزهرية وأفكار فلسفية**
التّأليف: سامر إسلامبولي
الطّبعة الأولى: ٢٠١١م

عنوان المؤلف
البريد الإلكتروني: sameris@maktoob.com
samer-is@arabquran.net
islambouli@gmail.com

سورية – دمشق
هاتف: ٦٥٢٢١٣٣ -١١- ٠٠٩٦٣
جوّال: ٩٤٥ ٩٩٠٦٥٣ – ٠٠٩٦٣

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ } الحجرات(١٣)



المحتوى

الشيخ والحلاوة

(١)

كان في قرية نائية عن المدينة شيخ محتال، استطاع أن يجمع حوله أكثر أهل القرية، مستغلاً حفظه للقرآن وصوته الجميل في تلاوته، بجانب قيامه بإنشاء جوقات الابتهالات الدينية والإِشراف على حلقات الرقص المترافقة مع الذكر المرخم.

ودرجت عادته على إحياء حلقة ذكر مساء كل خميس، وينسل أهل القرية من كل حدب وصوب ليحضروا هذا الحفل المبارك، فمنهم من يكتفي بالمشاهدة وتطويح الرأس يميناً ويساراً، ومنهم من ينخرط في الحلقة قافزاً عن الأرض نصف متر، ومُخرجاً من فمه زفيراً؛ يزعمون أنه اسم الله عزوجل!، وإذا أصغيت لهذا الزفير تجده أقرب ما يكون لصوت حرف الهاء مضموماً (هو).

لاقت طريقة الشيخ سعد الدين رواجاً بين أهل القريـــة؛ حتى صار له مريدون يـــأتمرون بـــأمره، وينتـــهون بنهيـــه، ويعتقدون بقدرته على شفاء المرضى، ورد الغائب، وإطلاق

السجين، وزرع المحبة بين الزوجين، وجعل العقيم يُنجب أولاداً، إضافة إلى علمه بالغيب، فهو قطب من الأقطاب!.

والتحق بجَوقة الشيخ، الشاب مَهران بعد أن أكمل بالزواج نصف دينه، وأراد أن يتقرب إلى الله ﷻ، فدخل على الشيخ، ووقف قبله بمترين، وجثا على ركبتيه، وزحف، حتى وصل إلى حيث يقعد الشيخ، فأكَبَّ على يده، وانهال عليها تقبيلاً، ورفعها إلى جبينه بخشوع، فوضع الشيخ يده الأخرى على رأس مهران، وقال: لقد تَقبَّل الله منك خضوعك، فادخل بسلام إنّك من الآمنين.

وصار مهران من مُريدي الشيخ، يحافظ على حلقات الرقص الذِكري، ويواظب على حضور جلسات حَقن العقل بالمفاهيم المَنوِّمة، والتغييب عن الواقع.

وذات يوم اجتمع مهران مع أحد مُريدي الشيخ في طريقه إلى حلقات الذكر، فرآه حاملاً سلة بيض، وفرخ دجاج.

فسأله:لمن تحملهم، وأنت ذاهب إلى الحلقة ؟.

فأجابه: إلى حضرة مولانا الشيخ.

فتعجب مهران! وسأل: لماذا ؟

فأجابه صاحبه: شيخنا لا يعمل شيئاً، فمن أين يعيش!؟

وتابع: لذا؛ ينبغي علينا أن نتكفل بمعيشته وأهله، حتى يتفرغ إلى عبادة الرب، ويسهر على تربيتنا وتدريسنا.

اندهش مهران! و لم يدر ما يقول.

وتابعا الطريق إلى حلقة الذكر، وانخرطا بها قافزين صاعدين نازلين مرددين: هو – هو – هو!، حتى أصابهما التعب، وشعر مهران بتيار حار يسري في عقله!، فاستغرب! أهو تيار النشوة، والمحبة، واليقين، أم تيار الغباء حقاً؟!، قطع الشيخ الخبير سلسلة الفكر مخافة أن تتم قائلاً: أيها الأحبة! رددوا معي: يا لطيف عشرة آلاف مرة، عسى أن يلطف بنا اللطيف! يا لطيف؛ يا لطيف.

وغرقت جَذوة الفكر في جَوقة يا لطيف، وانطفأت.

وخرج مهران حائراً، ضائعاً يشك في وجوده، ويتساءل؛ كيف أكون أنا هو، وهو أنا!؟ إن قلتُ هو؛ فأنا، وإن قلتُ أنا؛ فهو!.

وسار مُتثاقلاً إلى زوجه، واستحال اسمه في نفسه؛ إلى حيران، أو حَمران؛ بدل مهران، وعندما استقبلته زوجه نظر إليها وقال: أنتِ أنا، وأنا أنتِ، وهو أنا، وأنا هو، فأنتِ هو، وهو أنت، فنحن هو، وهو نحن!، نظرت زوجه الشابة إليه

باستغراب!، وقالت: اسم الله عليك! ماذا أصابك يا زوجي العزيز ؟ قال: اسم نفسي على نفسي، ماذا أًصاب نفسي من نفسي!؟ أمسكت زوجه بيده وأدخلته إلى البيت، وهي في حالة ذهول واضطراب مما أصاب عقل زوجها.

وأخبرت جارتها في اليوم الثاني عما اعترى لزوجها، فأشارت عليها بضرورة إخبار الشيخ حتى يعالجه.

وفعلاً جاء الشيخ الهمام ومعه بعض المريدين الذين يتبعونه كظله، ودخل البيت، وعندما رآه مهران قفز من السرير، وأخذ يُقَبِّل يده، وينتحب، فربت الشيخ على رأسه، وطلب منه الرجوع إلى مرقده، ووقف الشيخ عند رأسه قائلاً: يا مهران! لا تسأل عنه؛ فهو حاضر في كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، وقادر على كل شيء، ومع كل شيء، وهو ليس كمثله شيء!، والأمر فوق العقل والفكر، فليس لك إلاّ أن تُؤمن به؛ وتتبعني في كل ما أقول، ولا تسألني عن الأمر حتى أخبرك به، **وكُن بين يَدَي كما يكون الميت بين يَدَي المُغسل!، فإن فعلت ذلك فأنت ناج وسعيد، وإيّاك، ثُمَّ إيّاك من إعمال العقل والتفكير، لأن ذلك من طريقة إبليس اللعين**، فإنه لَمَّا أَعمل عقله قال: النار أفضل من التراب. ووقع

في المعصية وتكبر، فطرده الله من رحمته، ومن الجنة، ولعنه إلى يوم الدين، فإيّاك يا مهران! من العقل والتفكير، ونَفِّذ ما تَسمعه دون سؤال أو نكير، عندئذ ترتاح وتحصل على اليقين، والآن نَم قليلاً واسترح، وتعال مساءً إلى جلسة العلم والدراسة.

ودعا الشيخ له، وأَمَّن المريدون خلفه.

واستمر مهران في حضور جلسات العلم اللدُنّي، وحلقات الرقص.

وذات يوم، كان مهران حاضراً جلسة فقه عند الشيخ، فقال الشيخ له بعد أن رآه مضطرباً يَتَملمَل: ما الذي يَشغُل بالك يا مهران!؟

فأجاب مهران: مولاي الشيخ! امرأتي حامل في شهرها الثاني، وتتوحم على حلاوة بالسميد، ولا أدري من أين أحصل عليها.

فقال الشيخ: الأمر بسيط يا بني! بعد أن ننتهي من الجلسة؛ لا تذهب، وانتظر حتى ينصرف آخر المريدين.

وفعلاً؛ انتظر مهران انصراف المريدين واحداً تلو الآخر، ولم يبق إلا هو والشيخ.

فقال الشيخ: أتؤمن بصدق كلامي وأفعالي يا مهران ؟

فأجاب مهران: نعم يا مولاي!

الشيخ: أتشك في صواب قول أو فعل يَصدر مني ؟

مهران: حاشاك من الخطأ، أو الكذب يا مولاي!

الشيخ: ائتني بهذه القصعة الرمادية من الركن حتى أضع لك فيها حلاوة بالسميد، فتأخذها إلى زوجك.

فقام مهران، وناول الشيخ القصعة، ووقف ينظر كيف سيأتي بحلاوة السميد؛ وهي غير موجودة.

ولم ينتظر مهران كثيراً حتى رأى الشيخ يضع القصعة تحته، ويرفع جبته ويقعد عليها، ثمَّ سحب القصعة وأعادها إلى مهران قائلاً: خذ الحلاوة إلى زوجك، بارك الله فيكما.

فأخذ مهران القصعة؛ وهو ينظر إلى الشيخ! هل هو جاد فيما يقول!، ونظر إلى القصعة فرأى فيها مادة طرية تميل إلى لون السميد إذا حَمَّصته النار، واقترب من الاحتراق، فرفع نظره إلى الشيخ باستغراب وذهول!

فقال الشيخ: ألا تؤمن بمقدرتي وصلاحي وولايتي!؟

فأجاب مهران: نعم يا مولاي لا شكَّ في ذلك.

فقال الشيخ: إذن قم! واذهب إلى زوجك، وأطعمها الحلاوة هنيئاً مريئاً!.

فقام مهران، وخرج من زاوية الشيخ، وسار باتجاه بيته وهو يحمل القصعة، وهاله فرار السابلة منه، فاَستَرِق بعض النظرات إلى القصعة، فأصابته قشعريرة، واعتراه شَكٌّ في حلاوة القصعة!، واستنفره العقل، لكنه استغفر الله ﷻ، وصرف بصره، وحاول يائساً أن يُشغل ذهنه بشيء آخر ليلهيه عن الفضول والتساؤل!، ولكن هيهات أن يصدع العقل بأمر صاحب غافل،أو أن يتقاعس عن نصرته،فطلب من مهران أن يُمعن النظر!، فلم يستجب مهران لنداء العقل ونهره قائلاً: إليك عني هل يمكن أن يكذب الشيخ، لقد قال: إنّ في القصعة حلاوة. إذاً في القصعة حلاوة!.

ويجرب العقل حيلة أخرى، فيقول لمهران: لماذا لا تتذوقها وتقطع الشك باليقين، أليست الحلاوة لك ولزوجك!؟

فَيُعجب مهران بهذا الرأي، فهو لم يُقلل أو يَشك في صدق الشيخ أو مقدرته.

قبل أن يغير رأيه غمس مهران سبابته في القصعة، ورفعها إلى فمه، فزكمت رائحة كريهة أنفه! رائحة يعرفها جيداً، لا

تخفى على أحد! فعاوده الشك، ولكن سرعان ما قال: وهل يُعقل أن يكذب الشيخ!، خاطبه العقل: ليس لك من حَل إلاّ أن تتذوقها ؟ فتقطع الشك باليقين.

فرفع مهران سبابته الملطخة بما في القصعة، ودسها بسرعة في فمه، وأطبق عليها وسحبها بأسرع مما وضعها! ويا للهول! **إنه بُراز الشيخ!** لقد تَغوّط في القصعة!. رمى مهران القصعة، وأخذ يبصق، ويبصق، وهو**لا يدري أيبصق البراز من فمه، أم يبصق على الشيخ!**.

وضحك العقل ساخراً منه وقال: ***تستحق ذلك! لأنك لم تعقل وتفهم من النظر، ولا من الشم حتى لعقت البُراز.***

وتابع العقل حديثه مُوَبخاً: **لقد استغرقت المعرفة منك ثلاث حواس (النظر والشم والتذوق) حتى استطعت أن تحكم على البراز أنه براز.**

فهنيئاً لك بالمثل الذي يقول:

ال.....لا يصَدِّق حتى يأكل ال.....

الرجال يرضعون في الأزهر

(٢)

كنا مجموعة من الموظفين في مؤسسة من مؤسسات الدولة، ومن الطبيعي أن يكون معنا، وبيننا زميلات متزوجات، أو عازبات، وبعضهن يتبنين اتجاها دينياً تراثياً لا يَقُمن بشيء إلا بعد الرجوع إلى المؤسسات الدينية المعنية مثل مؤسسة الأزهر.

وكانت إحداهن تعمل في مكتب مع زميل لها بصورة منفردة دون وجود ثالث معهما. مما أثار الحرج في نفسها،

ورجعت إلى المؤسسات الدينية مستفتية أربابها بقضيتها، وأوجد لها هؤلاء حلاً رائعاً، وشغلها أمر تنفيذه إلى الدرجة التي تجلى تجهما على وجهها المربد.

سألتها زميلتها زينب: يا حليمة! ما الذي جرى لك!؟ لماذا أنت شاردة الذهن، وكأنك تفكرين بأمر هام!؟.

حليمة: نعم يا زينب! يوجد أمر هام، وأنا أفكر فيه، وأريد شخصاً أتبادل الحوار معه حتى أصل إلى قرار.

زينب: وما هو الأمر يا حليمة!؟.

حليمة: أنتِ تعلمين أنني أجلس مع زميل لنا في مكتب واحد.

زينب: وما المشكلة في ذلك!؟

حليمة: لقد نهى النبي عن الخلوة بين الرجل والمرأة!.

زينب: نعم! تابعي الحديث.

حليمة: لقد سألت مرجعا في الأزهر؛ فأفتاني بإرضاع زميلي من ثَديي حتى يصير ابناً من الرضاعة، وبالتالي؛ تباح الخلوة معه!.

زينب: عجيب هذا الأمر! وكيف يرضع منك وهو رجل.

حليمة: لقد ذكرت ذلك للشيخ فقال لي: وَرَدَ عن النبي أنه عالج مشكلة من هذا النوع، وسمح برضاعة رجل، وكان له لحية، والحديث صحيح السند عن النبيﷺ، وموجود في كتب السنة، وعلى رأسها البخاري ومسلم!.

زينب: ولكن كيف يمكن أن تُرضعيه من ثَديك ابتداءً، وهو يَحَرم عليه رؤية أو مس ثديك!؟ لأن أخوة الرضاعة أو بُنوهما تترتب بعد الرضاعة، وليس قبلها!.

حليمة: ذكرت ذلك للشيخ أيضاً، وعرضت حلاً، وهو أن أقوم بوضع حليبي في كأس، ثم أُعطيه لزميلي ليشربه، فرفض ذلك، وقال: **هذه العملية ليست رَضاعة، ولابُدَّ من حصول عملية الرضاعة ذاهّا من خلال وضع حلمة الثدي في الفم!، والقيام بمصها لخروج الحليب**، أما مسألة إباحة عملية الرضاعة ابتداء، ومص الثدي ورؤيته أو مَسّه، فهذا أمر أباحه النبي، وليس لإنسان أن يرفضه، أو يستغربه أبداً.

زينب: إذاً؛ يجب أن يمص زميلك ثديك، ويرضع الحليب حتى يصير ابناً لك من الرضاعة، وبالتالي يباح الجلوس معه في مكتب واحد!.

حليمة: هذا ما يُؤرقني، ولا أدري ماذا أفعل!؟ وهل أخبر زوجي بذلك!.

زينب: أنا أرى أن الامتثال لأمر الشيخ الذي يُمثل الدين؛ هو أهم من زوجك، لأن زوجك قد لا يرضى بتلك العملية.

حليمة: ماذا تشيرين علي أن أفعل!؟

زينب: اكتمي الموضوع عن زوجك في الوقت الراهن، وأخبريه بعد أن يصير زميلك ابناً لك من الرضاعة، فيخضع للأمر الواقع!.

حليمة: حلٌ معقول ومناسب، ولكن هناك مشكلة كيف أخبر زميلي أني أريد أن أرضعه!؟

زينب: الأمر بسيط، غداً أحضر إلى مكتبك، ونشرب الشاي معاً، ونفتح الموضوع بصورة حوار معه!.

وفي اليوم الثاني حضرت زينب إلى مكتب زيد وحليمة، وألقت السلام عليهما، وجلست بعد أن طلبت الشاي للجميع من أبي وليد المسؤول عن طلبات الموظفين.

زينب: كيف حالك يا أستاذ زيد!؟

زيد: الحمد لله رب العالمين؛ بخير، وأنت كيف حالك!؟

زينب: بخير من الله ﷻ.

ونظرت زينب بصورة خفية إلى حليمة؛ وغمزتها بعينها تُريد منها أن تبدأ بالحديث! فرفعت حليمة حاجبيها! وهَزَّت رأسها يميناً ويساراً.

زينب: أخ زيد! يوجد سؤال أريد أن أسمع جوابه منك!؟

زيد: مني أنا!

زينب: نعم! ألست رجلا مثقفاً!؟

زيد: نعم! لا بأس بثقافتي!

زينب: ما رأيك بمسألة الرضاعة للكبير!؟

زيد: تقصدين الطفل الذي تجاوز مرحلة الرضاعة!؟

زينب: لا! وإنما أقصد الرجل!

زيد: وكيف يرضع الرجل!؟ ولماذا يرضع أصلاً! ألا يوجد له أسنان يستخدمها في عملية الضرس والهرس والمضغ! وضحك بصوت عال!.

زينب: أنا أسألك بصورة جدية ولا يوجد ما يستوجب السخرية و الضحك!.

زيد: لم أفهم!؟

زينب: اسمع يا زيد!؟ الموضوع باختصار هو:......
وأطلعته على القصة كاملة!.

فنظر زيد بذهول إلى حليمة! وأدار وجهه إلى زينب وقال:

هل أفهم من كلامك أن حليمة تريد مني أن أرضع حليبها ومن ثديها!؟

زينب: نعم! هذا ما نُريد حتى تصير ابناً لها من الرضاعة، ويرتفع حكم حرمة الخلوة في المكتب الوظيفي.

زيد: فقط في المكتب الوظيفي!؟

زينب: بل الحكم ثابت في أي مكان وزمان!

زيد: أفهم من كلامك أني أستطيع أن أزورها في بيتها وأدخل إليها ولو كانت وحدها!

زينب: نعم؛ ولكن هذا الأمر متوقف على طبيعة العلاقة والصداقة!.

زيد: هل أنت يا حليمة موافقة على ما سمعت من زينب؟

حليمة: نعم لقد اتفقنا على الموضوع قبل أن تتكلم به!

زيد: بصراحة؛ لا أصدق ما أسمع! ولا أستطيع أن أتصوره.

حليمة: ليس من الضروري أن تصدق أو تتصور الأمر، وإنما المهم أن تُطيع أمر الشيخ.

زيد: بالله عليكن كيف أقوم بعملية الرضاعة ؟ وأين ؟

حليمة: نقوم بذلك في مكتبنا هذا لمدة ساعة كل يوم، حتى يصير المجموع خمس رضعات مُشبعات!.

زيد: وإذا لم أشبع من خمس رضعات!. قالها ساخراً.

حليمة: أشعر أنك لم تأخذ الموضوع بصورة جدية! وما زلت تسخر منَّا!؟

زيد: سوف أختصر الوقت وأخبركما بقراري!.

زينب وحليمة: نتمنى ذلك، وكفاك سخرية!.

زيد: اسمعا إذاً! ما أنتما إلا امرأتان سيئتان تريدان مراودتي عن نفسي، وأستغفر الله ﷻ واستَعصِمُ بإيماني، وحبي لزوجي من أن أقبل بعرضكما المشين، والمنافي للدين والأخلاق، و بئس النساء أنتما.

حليمة وزينب: لقد فهمت الأمر خطأ، فنحن شريفتان وملتزمتان بالحكم الشرعي!و لم نفعل ذلك حُباًّ بالفعل، وإنما عرضنا ذلك قسراً وبناء على فتوى شيخ أزهري!.

زيد: تباً لكما، ولهذا الشيخ، وما يخرج منه من سوء. ***حاشاً للدين أن يحضَّ على الرذيلة، ويسمح للرجال بمص أثداء النساء! تباًّ لكما، وله ألف مرة.***

وتابع زيد حديثه قائلاً: سوف أُقدِّم للمدير طلب نقلي من هذا المكتب، الذي تُريدان أن تفتحاه مكتب رضاعة للرجال، وخرج غاضباً وتوجه إلى المدير العام، وعرض عليه القصة؛ فانفجر المدير ضاحكاً؛ واستلقى على كرسيه، وقال ساخراً: يا زيد! ماذا تريد أحسن من ذلك، تفطر في البيت، وتشرب الحليب الساخن في المكتب من الثدي مباشرة!.

زيد: أنا أصر على طلب نقلي من مكتب الرضاعة هذا إلى غيره، وأتمنى ألا يكون فيه مرضعات!.

المدير: كما تريد يا زيد، وافقت على نقلك.

وشاع الخبر في المؤسسة، وتناقلته الألسن بين مستغرب، ومذهول، أو معارض، أو موافق، أو ساخر.

وبعد يومين دخل صاحب البريد إلى المدير، ومعه كمية من الأوراق، ووضعها على مكتب المدير.

نظر المدير إلى أول ورقة، فقرأ فيها طلب انتقال من شاهر إلى مكتب حليمة، فعَضَّ على شفتيه ممتعضاً، وتابع قراءة الأوراق، التي كانت كلها طلبات انتقال من الموظفين إلى مكتب حليمة، عوضاً عن زيد!.

اتجه المدير إلى مكتب حليمة، فلما وصل طالعه حشد من موظفيه الرجال واقفين في طابور كأنهم في مدرسة،فسألهم: ماذا تفعلون هنا!؟

أجابوا بصوت واحد: نعرض خدماتنا على السيدة حليمة حتى تختار من تريد أن يمص ثدييها! عفواً! يرضع حليبها حتى يصير ابناً لها، وبالتالي يستلم الوظيفة في مكتبها بدل زيد

المدير: انصرفوا! وليرجع كل واحد منكم إلى مكتبه، وسوف أرفع الموضوع إلى الجهات المسؤولة لينظروا في حل هذه المشكلة العويصة.

وتم رفع كتاب يعرض المشكلة على الجهات العُليا، التي شكلت لجنة لدراسة القضية، واستعانت اللجنة بخبرة مشايخ الأزهر، فوصلوا إلى حل مَفاده إنشاء وزارة الرضاعة وإنشاء أقسام تابعة لها، حيث يطلب من كل موظف أن يأتي إلى قسم الرضاعة المعني بوظيفته، ويقوم بمص ثدي أم حمدان، التي عُيِّنت في مقام مُرضعة لهذا القسم ويصير كل الموظفين رجالاً ونساءً في القسم أخوة بالرضاعة، وتُحل المشكلة. وذلك درءاً للفتنة والفوضى، إذ لو قامت كل موظفة وأرضعت زميلها خمس رضعات مشبعات، و رفض زميلها عملية الفطام!، وأصر على مص ثدييها، كونها صارت أمه بالرضاعة! لوقعت المرضعة في مشكلة كبيرة مع زوجها وأولادها من جانب، وزملائها سابقاً، وأبنائها من الرضاعة لاحقاً.

وانتشر القرار بين المؤسسات ووصل إلى الناس، فاستهجن معظم الناس هذا القرار!، وقام العقلاء والمفكرون، والمثقفون برفض هذا الأمر المشين المنافي للدين والأخلاق، وبَيَّنوا في محاضراتهم ومقالاتهم أن الإسلام بريء من هذا العلاج، وأن عملية الرضاعة محصورة زمنيا في القرآن منذ الولادة إلى بلوغ الرضيع عمر السنتين فقط؛بقوله تعالى: {**وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ** } (البقرة 233) وأي رضاعة بعد هذا السن؛ لا يترتب عليها شيء، أما رضاعة الرجل، فلا علاقة لها بالدين، وهي مسألة مُنافية للآداب والأخلاق، وقال بها من قال لحاجة في نفسه! وينبغي أن يُطبق عليها قانون العقوبات، لحماية النساء من مص الأثداء!.

وخرجت مظاهرات تُندد بالمشايخ الذين يدعون إلى الفجور، وتُطالب السلطة القضائية أن تُوقع بهم العقوبة الشديدة، وتمنعهم من التصدر للفتوى، لأن عملية الفتوى الشرعية، لا تكون إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، كما أخبر في كتابه إذ قال:

{وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاء قُلِ اللّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ } (النساء١٢٧)، وطالبوا بإصدار قرار صريح يُلزم الأزهر، وغيره من المؤسسات، التي احتكرت الدين كتابة وثقافة، **أن تعتمد في كل أقوالها ودراساتها على القرآن ابتداءً، ولا تأتي بما يخالف القرآن أبداً، وأي حديث يُنسب للنبي العظيم، ينبغي أن يُعرض على القرآن أولاً، فإن انسجم معه ضمن كُلياته ومُنطلقاته، وكان بين يديه؛ لا يتجاوزه أبداً، يتم النظر في سنده، فإن صح سنده على غلبة الظن، لا مانع من نسبته إلى النبي ﷺ والاستشهاد به بعد الاستدلال والبرهنة في النص القرآني على المسألة المعنية بالدراسة.**

وكل من يخالف ذلك، يُعَرّض نفسه للعقوبة والجزاء.

وتابعت المظاهرة سيرها تُندد بالأزهر الذي يسمح للرجال بمص أثداء النساء!.

ادخل وخذه بنفسك

(٣)

ذهبت ذات يوم لأشتري نسخة من المصحف، وعندما وصلت إلى المكتبة طلبت من البائع أن يعطيني مصحفاً من القطع الوسط.

فقال: لست على وضوء، ادخل وخذه بنفسك.

قلت: لم أطلب منك إقامة الصلاة! وإنما طلبت منك نسخة من المصحف!

قال: سمعت ما طلبت. ولكن لا أستطيع مس المصحف لأني على غير طهارة.

قلت: عجباً! وكيف تعمل طوال النهار ؟ وهل كل من يريد مصحفاً يدخل ويأخذه بنفسه ؟ وإذا لم يكن عميلك متوضئاً أيضاً، ويحمل قناعتك نفسها، فماذا تفعلان؟ هل تنتظران دخول رجل ثالث ورابع وعاشر حتى يحضر رجل طاهر!؟

قال: إن الله عز وجل قد نهى عن مس المصحف بقوله:
{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ } (الواقعة٧٩).

قلت: أخي الكريم! ألا تعرف الفرق بين أسلوب النهي وأسلوب النفي ؟

قال: طبعاً أعرف!

قلت: قوله تعالى: **{لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ }** نهي أم نفي؟

قال: نهي طبعاً، ولذلك قال الفقهاء بحرمة مس المصحف لمن على غير طهارة.

قلت: أخي الكريم! تَريَّث قليلاً. فأنا أناقشك أنت، فاترك السادة الفقهاء بحالهم.

قال: الموضوع واضح وسهل، والنص صريح في النهي.

قلت: إذا سمحت أَعرب كلمة **{لَّا يَمَسُّهُ}**!؟

قال: **لا**: حرف نهي. **يمسه**: فعل مضارع مجزوم بلا الناهية.

قلت: وما علامة جزمه ؟

قال: السكون الظاهر على آخره.

قلت: إذا سمحت سوف أَدخلُ وأجلب نسخة من المصحف، لنرى علامة الجزم التي ذكرتها أنت.

وفعلاً دخلت، وأحضرت مصحفاً، وفتحت على سورة الواقعة آية (٧٩) وقلت له انظر؟ أرني أين علامة الجزم ؟

فنظر إلى الآية، وتلاها بصوت عال، ثم سكت مندهشاً عندما شاهد أن فعل **{يَمَسُّهُ}**مضموم الآخر، ولا يوجد عليه سكون. وتدارك الموقف، فقال: من المحتمل أن يكون وجه من الإعراب، لا أعرفه أنا.

قلت: الأمر مقدور عليه أيضاً! فنحن في مكتبة إسلامية، وينبغي أن يكون عندك نسخة من كتاب إعراب القرآن.

قال: نعم! يوجد كتاب إعراب القرآن عندي.

قلت: أحضره أنا، أم أنت ؟

قال: بل ادخل أنت فاحضره، وهو موجود في الجهة العُليا.

وأشار إلى مكان معين، ودخلت وأحضرت الكتاب،

وفتحت على إعراب سورة الواقعة آية رقم (٧٩)

قلت: أتقرأ! أم أقرأ لك ؟

قال: بل أريد أن أرى بنفسي.

قلت: انظر إلى هذا القول:

لا: نافية لا محل لها من الإعراب.

يَمَسُّهُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره، والهاء ضمير متصل في محل نصب مفعول به.

نظر إلى الإعراب مرة ثانية، وثالثة، وحاجباه يتحركان إلى الأعلى والأسفل، ثم قال: غريب والله هذا الأمر! مذ كنت صغيراً، وأنا أسمع أن مسَّ المصحف حرام، ويتلون علينا هذه الآية.

قلت: ***العلم لا يُؤخذ من الأكثرية، ولا من تَقادم الزمن، ينبغي عليك أن تُحدِّث معلوماتك عندما كبرت، وتقوم بعملية إعادة تنشئة الأنظمة المعرفية من جديد.***

قال: وما معنى الآية إذا لم تكن ناهية!؟

قلت: إن الآية مرتبطة بالآيات التي قبلها وبعدها، فينبغي قراءة الآيات كلها، والوصول إلى المعنى المقصود.

قال: أخبرني بتفسيرها إن كنت تعرف ذلك!؟

قلت: أخي الكريم! أعرف تفسيرها، ولكن المقام لا يسمح لذلك الآن، وسأكتفي بإعطائك صورة مختصرة عن المفهوم.

إن كلمة (**المُطَهَّرون**) غير كلمة (**المُتَطَهِّرون**)، فالتاء عندما تدخل في بداية الكلمة تُعطيها جهداً، وتُسمى تاء الجهد، نحو قولنا: قرأ وتقرأ، درس وتدرس.....الخ.

وكلمة (**المطهرون**) تدل على وجود صفة الطهارة بصورة لازمة، أما كلمة (**المتطهرون**) تُفيد وصفاً لمن قام بعملية التطهير.

والنص استخدم كلمة (**المطهرون**) ليدل على مجموعة من الناس، وصلوا إلى صفة الطهارة، وصارت لهم صفة لازمة، فإذا فهمنا أن حرف (**لا**) هو للنفي، وسياق النص يدل على الإخبار، وكلمة (**مطهرون**) صفة لازمة. وصلنا إلى تشكيل مفهوم كلي وهو:

لا يَمُسُّ معاني القرآن، وحقيقتها، إلاَّ ذوو التفكير الطاهر، والمستقيم؛ وبالتالي، تم نفي ذلك عن ذوي التفكير النجس، والمريض، والخرافي.

قال: بارك الله بك، لقد فتحت لي باباً من العلم لن أغلقه بعد الآن،وسوف أحاول أن أدخل منه،وقام،وأخذ المصحف مني ضاحكاً، وقَبَّله ووضعه على رأسه!.

الشيخ معيار للصواب والخطأ

(٤)

منذ عشرين عاماً تقريباً وسط الثمانينات كنت في زيارة إلى اليمن السعيد. تعرفت في صنعاء على كثير من الدعاة، وحضرت محاضرات زامنت وقت زيارتي، وكان من أهمها محاضرة للداعية الكبير الشيخ أبي الحسن الندوي، وأخرى للدكتور الترابي، والدكتور الزنداني، وغيرهم من فقهاء ومُحدّثي اليمن.

ودارت رحى نقاشات، وحوارات مستمرة على مدار اليوم والليل دون مبالغة، ننام أثناء الحوار ونصحو عليه لنتابعه دون كلل أو ملل.

ومن أطرف الحوارات والنقاشات، ذاك الذي أجريته مع أحد كبار مثقفي السلفية، وهو سوري الأصل مقيم في اليمن حينئذ، وصار فيما بعد، وربما إلى تاريخ هذه الساعة رئيساً لمركز إسلامي في دولة أوروبية!.

كان النقاش حول مفهوم (القضاء والقدر) وأخذ منَّا جلسات؛ وجلسات طوال أيام وليال، وفي أحد الأيام كنت أراجع الموضوع في أحد كتب الشيخ ناصر الدين الألباني (رحمه الله)، فوقع تحت يدي قول له، يُوافق ما كنتُ أنصره من رأي، فقلت في نفسي: عجباً من هذا الشيخ المجادل، كيف لا يعلم برأي شيخه الألباني!.

وخطر في نفسي خاطر، وملعوب ألعبه مع هذا الشيخ أمام مجموعة من الناس، كي أكشف حقيقته لهم. وهو أن أنقل رأي الشيخ الألباني من كتابه بخط يدي وأُوهم الشيخ المجادل أنه نصل من معين أفكاري، قد كتبته له ليطلع عليه، ويُبدي رأيه به.

وفعلاً في اجتماع ضم مجموعة كبيرة من مؤيديه، وقلة من معارضيه، عرضت عليه الأوراق، وطلبت منه أن يقرأها بصوت مرتفع ؟ فاستجاب، وبعد فراغه **قال**: الرأي ضال، ومخالف للحقيقة.

فقلت له: ألا يوجد احتمال ضئيل أن يكون صواباً ؟

قال: لا يوجد أبداً.

قلت: ولو وافق عليه شيخك الألباني ؟

قال: يستحيل أن يوافق الألباني على هذا الرأي الضال.

قلت: فرضاً! إذا وافق، ماذا يكون موقفك ؟

قال: قلت لك يستحيل أن يقول بهذا الرأي الضال.

فعرضت عليه كتاب الألباني، وكنت قد أحضرته معي من أجل ذلك.

وقلت له: اقرأ صفحة كذا بصوت مرتفع.

فتناول الكتاب، وقَلَّبَه، ونظر إلى عنوانه، وتأكد من مؤلفه، ثم فتح الصفحة المذكورة، وبدأ بالقراءة والناس تسمع، وسرعان ما خَفَتَ صوته، وأصابته الحشرجة، وتغير لون وجهه، وغضب غضباً شديداً، وارتفع صوته عالياً قائلاً: لا يجوز هذا العمل الذي عملته معي ؟ لماذا لم تقل منذ البداية أنه ليس قولك؟ وهو قول ورأي الشيخ الألباني! فهذا كذب وتدليس.

قلت: لم أقل إن هذا كلامي وكتابتي، وإنما ناولتك الأوراق فقط، على أساس أن هذا رأي من باب الموافقة للمضمون،

وأنت توهمت أنها من كتابتي وتأليفي، فالمشكلة في تصورك، وفهمك للأمر على غير حقيقته.

قال: لكن كان ينبغي أن تذكر أن هذا كلام الشيخ الألباني؟

فقال له بعض الحضور: لا يهم من هو قائل هذا الكلام، ولا كاتبه، والمهم صوابٌ هو أم لا ؟

وقال آخر: هل صواب الكلام يختلف باختلاف القائل ؟

ارتبك صاحبنا الشيخ، ولم يدر ماذا يقول!، واستدرك لحفظ ماء وجهه.

فقال: ينبغي أن أتصل بالشيخ الألباني، وأطلب منه تعديل أوتغيير هذا التعليق، لأن رأيه خطأ وقاصر في هذه المسألة.

فتصدى له تلاميذ الشيخ الألباني وقالوا: كفاك يا أبا فلان مكابرة، وارجع عن رأيك إلى رأي الأخ، **فرأيه صواب، موافق لرأي شيخنا**.

وانتهت الجلسة على غير ما بدأت به، إذ دخل الشيخ المجادل إلى الجلسة تحفه مجموعة من الشباب، وخرج وحده غاضباً متوعداً بمراسلة الشيخ الألباني! وبمقاطعتي حوارياً.

الهدهـــد العاقـــل

(٥)

حضرت ذات يوم جلسة وعظ وإرشاد في أحد المساجد، وكان الشيخ يتحدث عن سيرة النبي سليمان عليه السلام، ووصل إلى قصة الهدهد الذي تأخر، وتهديد النبي سليمان عليه السلام له في حال لم يُقَدِّم عُذراً مقبولاً يُبرر تأخره. إلى آخر القصة المعروفة.

وخرج الشيخ عن سياق المنطق، وأضفى على القصة تصورات خاصة به، هبطت بها إلى مستوى الأطفال، وأفرغت محتواها الإنساني والاجتماعي، وجعلها قصة من ألف ليلة وليلة، بين الإنسان وطير من الحيوانات!، فرفعتُ يدي مستأذناً بالكلام.

قال الشيخ: تفضل يا بُني اسأل ماذا تريد ؟

قلت: مولانا الشيخ هل يوجد في النص القرآني ما يُثبت أنَّ الهدهد حيوان، وليس إنساناً ؟

قال: نعم! قال الله ﷻ على لسان النبي سليمان عليه السلام: {**وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ**} (النمل ٢٠)

فالهدهد طير، والطير من جنس الإنسان، أم من جنس الحيوان؟

قلت: مولانا الشيخ أفهم من جوابك أن كلمة (الطير) هي التي دلت على أن الهدهد هو من جنس الحيوان، وليس من جنس الإنسان، أليس كذلك ؟

قال: هذا واضح في كلامي ولا يحتاج إلى نباهة!.

قلت: أريد أن أصل إلى أن الفهم الذي شَكَّلته عن الهدهد، وأنه حيوان، كان نتيجة قرينة في النص ذاته دلت على ذلك؟

قال: إلى ماذا تريد أن تصل، أنت تُعيد الكلام نفسه ؟

قلت: ألا يوجد في سياق القصة قرائن أخرى تُفيد بأن الهدهد كائن عاقل مدرك للحق والباطل ؟

قال: تُشير إلى قصته مع الملكة، وإخبار النبي سليمان عليه السلام بأنها تعبد وقومها الشمس من دون الله، وإدانة هذا العمل وإنكاره ووصفه بالباطل ؟

قلت: نعم يا شيخ أليس هذا النص قرينة صريحة تدل على أن الهدهد ليس حيواناً ؟

قال: الهدهد طير، وذلك صريح في النص، وما قام به الهدهد من إخبار عن الشرك الذي تمارسه الملكة وقومها، هو من باب المعجزة للنبي سليمان عليه السلام.

قلت: لو ذُكِرَت كلمة (طير) وحدها دون القرينة الأخرى، التي تدل على العقل، والإدراك، لكان كلامُك صواباً. ولكن ذكر قرينة العقل والإدراك للهدهد – ومن المعلوم أن صفة العقل،والإدراك، والحرية، لا يملكها إلا الإنسان – يُؤكد أن دلالة كلمة الطير هي صفة لمجموعة من جنود النبي سليمان، كل فرد منهم اتخذ اسم طير من الطيور، والذي جرت القصة معه، كان يُلَقِّب نفسه بالهدهد. أما بالنسبة لقولك إن هذا معجزة للنبي سليمان عليه السلام فهذا كلام في غير محله. لأن المعجزة تتطلب تحدياً، وموضوعاً يُراد إثباته، وطرفاً يُنكر صدق الموضوع. بينما لا نلاحظ في قصة الهدهد موضوعاً محلاً للاختلاف، وبحاجة إلى إثبات، وجاء التحدي، ووقع

العجز على الطرف المنكر. فهو ليس من المعجزات لانتفاء شروطها، وكل ذلك على فرض وجود معجزات في النص القرءاني، لأن الله لم يترل الآيات لإعجاز أحد، وإنما أنزلها للتدبر والتفكر بها واستخدامها للوصول إلى الحق.

قال الشيخ: إنّ المفسرين قد ذكروا ذلك، والنص صريح في استخدام كلمة (الطير)، وكلمة (الهدهد) وهما قرينتان تَصلُحان لتأكيد أن الهدهد من جنس الحيوان، وليس من جنس الإنسان، لعلك فهمت يا بني ، أم مازلت تتفاقه، وتتذاكى علينا!؟

قلت: مولاي الشيخ! الموضوع ليس تذاكياً أو تغابياً أبداً، وإنما البحث عن الحقيقة، وفهم القرآن بفاعلية، ورفعه فوق مستوى الفهم الطفولي، يا شيخ! لو قلت: رأيت سبعاً في الحرب يصول ويجول بسيفه، والأعداء يفرون منه، أو يموتون تحت قدميه. أيفهم أحد من السامعين أن كلمة (سبعاً) تدل على حيوان!؟ أم أن قرينة حمل السيف حولت الذهن إلى معنى آخر ضرورة؟

الشيخ: طبعاً يا بني! فهذا أسلوب معروف في لسان العرب ولا يُنكره أحد.

قلت: ألا ترى أن صفة العقل والإدراك للهدهد قرينة حقيقية تَصرف دلالة كلمة (الطير، والهدهد) عن الجنس الحيواني، وتحصره بالجنس الإنساني ؟

قال: التعامل مع القرآن يختلف عن التعامل مع خطاب الإنسان.

قلت: عجباً! أَتُنَزِّه خطاب الإنسان من العبث والتصور الساذج، وتَصف الخطاب القرآني بذلك ؟

الشيخ: يا بُني! هداك الله ﷻ وأَذهَب عنك رجس الشيطان، من قال بذلك الفهم من السلف الصالح والعلماء الأجلاء ؟

قلت: يا شيخ أنت ترد علي بأسلوب فرعون، عندما رد على النبي موسى عليه السلام قائلاً: **{قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَى}** (طه٥١)، فأجابه النبي موسى عليه السلام:**{قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى }** (طه٥٢)، **فصواب الفكرة، لا**

يشترط أن يكون قد قالها أحد من السابقين،فانتفاء القول بها، لا يعني خطأها فالآبائية، والأكثرية،والأقدمية،والشهرة، وغير ذلك، ليست براهيناً أو أدلة على صواب أو خطأ فكرة معينة.

الشيخ: أنت ماذا تحمل من شهادات علمية ؟

قلت: دراسة القرآن متاحة للجميع، ولا علاقة لها بالشهادات أبداً.

الشيخ: قم**!** انصرف عن جلستنا**!** فما أراك إلا صاحب ضلالة. والهدهد طير من الحيوانات، ويَتَصف بالعقل والإدراك رغم أنفك!.

الأخوات الأربع

(٦)

حان وقت نشرة الأخبار في إحدى الفضائيات العربية، وكان ابني يلعب في الغرفة، فقلت له: اهدأ قليلاً لنسمع الأخبار.

وبينما هو يلعب بهدوء؛ لقطت أذنه عبارة قالها المذيع وهي: **إن اقتصاد البلد وثرواته الباطنية بيد أمينة!**.

وسرعان ما التفت إلي وسألني: بابا! من هي أمينة ؟

قلت: إنها المسؤولة عن ثروات البلد وتخزينها في الخارج!

وتابع لعبه، لا يدري ما قلت، ولكنه سرعان ما لقطت أذنه قول المذيع: **إن سياسة البلد سياسة حكيمة!**.

فقال: بابا! من هي حكيمة!؟

قلت: إنها أخت أمينة!.

وتابع لعبه سارداً. وإن هي إلا هنيهة حتى لقطت أذنه قول المذيع: **إن قيادة البلد قيادة رشيدة! فهرع إلي؛ وقال:** بابا! من هي رشيدة!؟

قلت: يا بُني إنها الأخت الثالثة لأمينة!.

وتابع لعبه برهة من الزمن وهو يغني ببراءة: أمينة وحكيمة ورشيدة!،. وسكت ليسمع المذيع يقول: **إنَّ توجيه الشعوب ينبغي أن يصدر من ثقافة فكرية!**.

فقال: بابا! مَن فكرية هذه!؟

قلت: يا بُني إنها الأخت الصغرى لأمينة!.

فقال: ومن أبوهن!؟

قلت:أبوهم! فهم ذكور يا بني! و لا يوجد لهم أب ولا أم

قال: عجباً! ومن أين أتوا!

قلت: يا بُني لا يعرف أحد من أين أتوا!.

قال: وماذا يريدون!؟

قلت: يريدون كل شيء!

قال: وماذا يُعطون!؟

قلت: هؤلاء يأخذون و لا يُعطون!.

قال: ولكن أسماءهم لطيفة وجميلة!.

قلت: نعم! هذا أسلوب يضمن استمرار لعبتهم!.

قال: وهل يلعبون!؟

قلت: نعم يا بُني!.

قال: أريد ألعب معهم!.

قلت: يا بُني! إنهم يلعبون بالنار، والحديد، والدماء بصورة قاسية، وبشعة، لا يعرفون الرحمة، أو الضحك، ولا يسمحون لغيرهم باللعب معهم.

قال: ولكن هذا غير معقول، فحقي أنا والأطفال أن نلعب كما نشاء.

قلت: يا بُني، إنهم لا يعترفون بوجودكم وحقكم!.

قال: وأنا لا أعترف بوجودهم وحقهم!.

قلت: شتّان يا بُني بين عدم اعترافك بهم، وعدم اعترافهم بك!.

قال: وماذا يسمحون لنا أن نلعب!.

قلت: اللعب غير مسموح إطلاقاً!.

قال: وماذا يفعلون بنا!؟

قلت: إنهم يلعبون بك مثل الكرة!.

أنت تفكر بعقلك

(٧)

دُعيت إلى جلسة نقاش عند أحد رجال السلفية فلبَّيت الدعوة وذهبت.

وبعد أن ضَمَّنا مكان الحوار، وتبادلنا السلام، والتعارف، قال السلفي: أريد أن أناقش مسألة إباحة أكل الضبع، وسأُثبت أنه مباح.

فأجابه بعض الحضور: تفضل بالكلام.

فقال: إن النبي ﷺ قال: (**الضبع صيد**)، وفهم السلف من دلالة كلمة (صيد) أن أكل الضبع حلال.

فقلت: ألم يصح حديث **النهي عن كل ذي ناب من السباع، وكل ذي مخلب من الطيور!؟**

فقال: بلى قد صح هذا الحديث. ولكن الضبع ليس له ناب. وبالتالي لا يطاله حديث النهي هذا.

قلت: عجباً! كيف لا يكون للضبع ناب، وهو آكل لحوم وصياد!؟

قال: ذكر الإمام الفلاني أن الضبع لا ناب له، وإنما له قواطع، وهي جزء واحد متصل غير منفصل.

قلت: أخي الكريم! إن الضبع حيوان موجود مشاهد على أرض الواقع، فلماذا ترجع في تعريفه إلى الكتب!؟ اسأل الشباب؟ ألا يوجد من رأى الضبع منكم!؟

فقال بعض الحضور: الضبع حيوان مفترس، له أنياب حادة، ويصيد بصورة جماعات، ويتغذى على أي لحم، سواء كان صيداً أم جيفة، بل؛ وينبش القبور ليفترس جثث بني آدم، فهو من آكلي لحوم البشر. حتى قيل عنه أنه خنزير السباع!.

قال: على افتراض صواب هذا القول، فالضبع مُستثنى من حديث النهي عن أكل السباع بحديث (الضبع صيد).

قلت: كيف يحرم أكل السباع التي لا تأكل إلا لحماً طازجاً أو من صيدها، ويباح أكل الضبع الذي يأكل الجيفة وجثث الأموات!؟

قال: هذا الاعتراض غير مقبول نحن نلتزم بالنص، وما يدل عليه دون أي تدخل بالمحتوى.

قلت: ولكن حديث (الضبع صيد) لا يدل على إباحة أكله، وخاصة إذا أرجعته إلى سياق الزمان والمكان الذي قيل فيه، وله.

قال متبرماً: وما سياق الحديث ؟ أخبرني ؟.

قلت: سُئل النبي عن قتل الضبع بالنسبة للمُحرم للحج الذي يَحرم عليه صيد البر بالنص القرآني، فقال النبيﷺ: **الضبع صيد.** ويقصد أن قتل الضبع لدرء ضرره؛ يتزل تحت تحريم عملية الصيد، وبالتالي إذا تم قتله من قِبل المُحرم وَجَب عليه أن يذبح مثله من حيث الحجم تكفيراً عن وقوعه في المخالفة.

قال: ولكن يوجد من الأئمة من يبيحون ذلك بناء على هذا الحديث، وذكر أقوالاً عدة وأتبعها ببضع فتاوٍ.

قلت: الأمر ليس بأقوال الرجال، أو أفهامهم، وإنما بالنص القرآني وما يدل عليه.

قال: أنت يا أخي! تفكر بعقلك.

قلت وبعفوية: وأنت ماذا تستخدم للتفكير!؟

نظر إلي وقال: ماذا تقصد!؟

قلت: لا أقصد شيئاً، هذا سؤال مشروع! فأنت تذم من يستخدم العقل في التفكير، فهل عندك شيء آخر تستخدمه في التفكير!؟ فإذا كنتُ أفكر بعقلي، أنت بماذا تفكر!؟

وعلت ضحكات الحضور، ورافقتها همسات هازئة؛ أطرفها وأظرفها ما قاله أحدهم ساخراً:

إنه يُفكر... برجله!.

قم اسحب ورقة يا نصيب

(٨)

كان رجل يهودي يدعو الله ﷻ أن يُرَبِّحه ورقة يانصيب، واستمر في دعائه عشرين عاماً، لا يمل و لايكل، ورغم ذلك لم يستجب الله له. ونظرت الملائكة إليه بعطف، وشفقة، و قام جبريل، وقال: يا الله؛ لماذا لا تستجيب دعاء اليهودي، وتُحَقق له حاجته!؟ فهو يدعوك منذ عشرين عاماً!؟

فقال الله ﷻ: قل لليهودي الأحمق! إنّ الله يُريد أن يستجيب دعاءك، ولكن لم تعطه الفرصة لفعل ذلك! قل لهذا **الأحمق! قم اسحب ورقة يا نصيب**[1]، **ولو مرة واحدة في حياتك، حتى يستجيب الله لك!**.

---

[1] إن هذه الوسيلة وأمثالها لجلب المال وكسبه هي من باب أكل أموال النـــاس بالباطـــل، والمشارك فيها يجعل نفسه طوعاً ضحية، والقصة هي للعبرة بأسلوب ساخر.

حمار عنصري

(٩)

اجتمع ذات يوم ثلاثة حمير جاؤوا من أماكن مختلفة جغرافياً، وحَنوا رؤوسهم تحية لبعضهم مع إخفاء نظرة الازدراء!.

سأل الأول زميليه: من أين أنتما أيها الحماران ؟! وأخفى ضحكة ساخرة.

فأجاب الحمار الثاني مزهوّاً بحمرنته: أنا من بلاد عظيمة تعود في تاريخها إلى آلاف السنوات، وأنتمي إلى قبيلة الحمير ذات القوائم الطويلة، واللون الرمادي، وهاهي سلالتي مستمرة في التكاثر، وإنجاب أكبر الحمير في التاريخ!.

قال الثالث: أما أنا فأنتمي إلى معشر الحمير ذوي اللون الأبيض، وهو كما تعلمون لون مميز عن سائر الألوان، وملوك

الناس وكبارهم فيما مضى؛ كانوا لا يركبون إلاّ على ظهورنا، نحن معشر الحَمير البيضاء!.

قال الحمار الأول: لقد سمعت مقالتكما التافهة أيها الحماران الغبيان! ألا تعلمان أن الحمير السوداء (وكان حمارنا العتيد أسود اللون) هو سيد الألوان وأهيبها ؟ واللون الأسود هو الذي يملأ الفضاء!، ما يدل أن الحمير السود يحكمون الكون، و نصف الأرض يَلفها السواد، وتم ترك النصف الآخر لتتقاسمه بقية الحمير.

ونظر الحمير الثلاثة إلى بعضهم متأملين أشكالهم! يُحاول كل واحد منهم أن يدعم وجهة نظره الحَمَّارِيَّة في تميزه عن سائر الحمير!، وطال الانتظار وطفقوا يدورون! وينظرون إلى أذيال بعضهم، ويرفعون نظرهم إلى آذاهم الطويلة.

فجأة سأل أحدهم وهو الأذكى: ما هي لغة التخاطب والتواصل عند بني الحمير جميعاً ؟

ردَّ عليه الآخران: إنها لغة النهيق والرفس.

فقال الأول: إذاً؛ هي نبدأ بالحوار.

وارتفع نهيقُ الحمير الثلاثة عالياً، وانهالوا على بعضهم بالرفس الرهيب من خلال توجيه مؤخراتهم باتجاه بعضهم،ممّا شكّل لوحة حوارية حَمّاريّة مثالية، صَوتاً وصورة، فالنهيق من أنكر الأصوات، والرفس من أقبح وسائل العنف، وخاصّة إن كان يصدر من الخلف، فتلتقي مُؤخرات الحمير مُترافسة وتبتعد رؤوسهم عن بعضهم البعض ناهقين! لتتحقق في الواقع **أسس الحوار الأربعة** المعروفة: **النهيق، والتقاء المؤخرات، والرفس، وإبعاد الرؤوس بجهات متعاكسة!**.

واستمر حوارهم الحَمّاري وعلا نهيقهم، وضَجّ المكان بالضوضاءِ والصخب، حتى وصل ذلك إلى مَسمع الفيل؛ و كان بالقرب من المكان، فاتجه إلى مصدر الصوت مستكشفاً سبب ذلك الضجيج، الذي عَكّر صَفْوَ الهدوء.

وعندما وصل الفيل إلى مكان المؤتمر، رأى ثلاثة حمير يرفعون مؤخراتهم، ويترافسون، وينهقون بشكل قبيح! فأصدر

الفيل صوتاً عظيماً آمرا:كُفّوا أيها الحمير عن الإزعاج والضجيج!.

فانتبه الحمير إلى صوته، وقالوا: نحن نتحاور!.

قال الفيل: وهل يكون الحوار بالنهيق، والرفس من جهة المؤخرة!؟

قال الحمير: نحن لا نعرف إلا هذه الطريقة في الحوار!.

قال الفيل: وعلى ماذا تتحاورون أيها السادة الحمير! ؟.

قال أحدهم: نتحاور حول مسألة تَمَيّز نوعي وتَفَوّقه على سائر الحمير.

فرد عليه الثاني: بل تَفَوّقي أنا على سائر الحمير!.

نهق الثالث غاضباً: بل أنا أحمر الحمير.

فتدخل الفيل غاضباً وقال: اصمتوا جميعاً، **لا شَكّ أنكم كلكم حمير!.**

هل آتي بالأحاديث من جيبي

(١٠)

دخلت ذات مرة إلى مسجد لأصلي، فوجدت شيخاً قد تَحَلّق الناس حوله، وهو يُلقي عليهم وعظه وإرشاده.

وبعد أن أنهيت صلاتي؛ بقيت قاعداً في مكاني أستمع إلى ما يقول الشيخ الواعظ علّني أصيب منه نفعاً.

و تَطَرّق الشيخ في عِظَته إلى مُعاملة النبي لزوجاته، وكيف كان يعاملهن بلطف واحترام، إلى أن وصل في حديثه إلى وَصف ما يجري بين النبي، وزوجاته في فراش الزوجية.

فرفعت يدي مستأذناً بالكلام ؟

فقال الشيخ: تفضل يا بُني!؟

قلت: يا شيخ هذه الأحاديث المتعلقة بالحياة الزوجية للنبي ﷺ وخاصة الجماع! هل هي أحاديث صحيحة السند!؟

قال الشيخ مبتسماً: نعم! صحيحة السند.

قلت: أنا أستغرب يا شيخ! كيف عَلِمَ الرُواة بهذه المسائل الزوجية!؟

الشيخ: يا بُني! إنّ هذه الأحاديث نُقلت عن النبي أو زوجاته.

قلت: يا شيخ أيُعقَل أن يقوم النبي ﷺ أو زوجاته بالتحدث عمّا يجري على فراش الزوجية!؟

فنظر الشيخ إليّ، وَزَمّ شفتيه، وعَقَدَ ما بين حاجبيه، ورفع يده مُشيراً إليّ، وقال غاضباً: يا بُني **هل آتي بالأحاديث من جيبي**، هذا الذي وصل إلينا، ومكتوب في الكتب، وقد رواه المشايخ لنا كابِراً عن كابر.

قلت: يا شيخ! وهل كل ما هو مكتوب في الكتب، و ما وصل إلينا من أخبار وأحاديث يكون صواباً بالضرورة.

الشيخ: يا بني! وهل مطلوب مني؛ أنا أن أقوم بالتأكد من صواب هذه الأقوال والأحداث!؟

قلت: نعم يا شيخ، ألستَ مُتصدراً تعليم الناس أمور دينهم ووعظهم ؟ فواجب عليك أن تقوم بمعرفة الصواب من الخطأ، وهذه مسؤولية أنت مُحاسب عليها.

الشيخ: ولكن هذا الأمر صعب جداً علي، وقد أخذه مشايخنا على عاتقهم.

قلت: يا شيخ! الأمر على درجة من السهولة، والمشايخ الذين تتكلم عنهم، هُم مثلك لم يعملوا شيئاً سوى القيام بالوعظ ورواية الأحاديث كما بلغتهم دون نقد لمتنها.

الشيخ: يا بُني! لقد تجاوزت حَدِّك وتَطاولت على السادة الفقهاء، الذين هُم مثل الجبال بالعلم والتقى! فالزم حدودك.

قلت: يا شيخ ألم يصح حديث النبي ﷺ الذي **نهى به عن أن يتكلم الزوج أو الزوجة؛ بما يحصل معهما في فراش الزوجية لأصدقائهما!؟**

الشيخ: نعم! لقد صح هذا الحديث النبوي.

قلت: ألا ترى أنه يوجد تناقض في هذه الأحاديث ؟

الشيخ: كيف ذلك ؟ وكل الأحاديث من النبي ﷺ، ثم التفت إلى الناس، وقال: صلّوا على الحبيب المصطفى.

قلت: يا شيخ ألم تتكلم قبل قليل عما كان يجري بين النبي وزوجته في الفراش ؟

الشيخ: لقد أَوْجَعت قلبي! ماذا تريد؟

قلت: يا شيخ كيف ينهى النبيُّ ﷺ عن فعل مُشين، ثمَّ يمارسه هو، أو إحدى زوجاته ؟

الشيخ: أعوذ بالله منك، ومن ملافظك! النبي أطْهر خلق الله عز وجل ولا يُمكن أن ينهى عن فعل مُشين، ثم يفعله.

قلت: وأنا أقول ذلك، وبِناء على ما تفضلت به يا شيخ **أقول لك: إنّ الأحاديث المتعلقة بالحياة الزوجية الخاصة بالنبي ﷺ كلها كذب وافتراء، وحاشا للنبي، أو أمهات المؤمنين أن يتكلمن بما يجري معهن على فراش الزوجية.**

لذا؛ أطلب منك يا شيخنا الفاضل، أن تُدافع عن بيت النبي ﷺ وأهله، وتَذود عن عِرضه وخُصوصيته.

وضَجّ الناس، وعلت أصواتهم، وقال أحدهم بصوت عالٍ: إن هذه الأحاديث في كُتب الصِّحاح، وهي صحيحة رغم أنف الحاقدين، وهذا الرجل وهّابي لا يحب النبي ﷺ، فأردت أن أَرُدَّ عليه، فأمسكني رجل من يدي، وسحبني جانباً، وقال لي: **يا أخ انصرف بارك الله فيك، إنّ هؤلاء لا يكادون يفقهون قولاً، وإن بقيت فمن المحتمل أن يضربوك.**

فانسحبت وأنا أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم اللهم زيّنا بالعقل والعلم.

الأحمق أكثر إيماناً بالله من العالم

(١١)

أدركتني الصلاة، وأنا في بعض شؤوني، فدخلت إلى أقرب مسجد لأدائها. وبعد أن انتهينا من أداء الصلاة، التفت الشيخ إلى المصلين، وبدأ بحديث يَعِظ الناس به، وتَطَرَّق إلى مفهوم التَّكَبُّر، وأنه يُحبط الأعمال، واستشهد بقصة عن بني إسرائيل، وهي:

سأل جبريلُ؛ اللهَ ﷻ: مَن أكثر الناس إيماناً بك من هؤلاء القوم!؟

فقال الله: هو أحمق بني إسرائيل.

فاستغرب جبريل جواب الله ﷻ!، أَيُعقَل أن يكون الأحمق أكثر إيماناً من العالم، أو العاقل ؟.

قال الله: انزل، وامتحن الاثنين، واكتشف بنفسك صواب جوابي؟.

نزل جبريل إلى الأرض، وتمثل بصورة بشر، وذهب إلى عالم بني إسرائيل، وسأله: **هل يقدر الله على أن يُدخِل الجمل في ثقب إبرة ؟**

فرد العالم: إن كان الجمل صغيراً جداً، أو كان ثقب الإبرة كبيراً جداً، فيمكن أن يدخل الجمل في الثقب.

وذهب جبريل إلى أحمق بني إسرائيل، وعندما وصل إليه؛ وجدَه يقذِف السماء بحجارة، ويقول: ارزقني يا الله وإلاّ أمعنت في قذفك، فتعجب جبريل من هذا السلوك! وقال في نفسه: أيُعقل أن يكون هذا الأحمق أكثر إيماناً بالله من العالم، وتابع حديثه في نفسه وقال: لكن الله صادق فيما يقول، فما عَليّ إلاّ أن أكتشف ذلك بنفسي.

وتوجه إلى الأحمق سائلاً: هل يستطيع ربُّك أن يُدخِل جملاً في ثقب إبرة ؟ فتوقف الأحمق عن قذف السماء بالحجارة، والتفت إليه؛ وقال:

إن الله قادر على أن يُدخِل الكون كله في ثقب إبرة وليس الجمل فحسب.

فَذُهِل جبريل من شِدَّة إيمان هذا الأحمق، الذي تَفَوّق على عالم بني إسرائيل.

فقال المصلون: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر.

فقمت من مجلسي، ولا أدري ماذا أقول لهؤلاء الناس! واخترت الانصراف بصمت.

أنا لا أناقشك أنت

(١٢)

عندما خرجت قوات فتح الفلسطينية من بيروت وسط الثمانينات، توجه قسم منها إلى عدن، وتوجه قسم آخر إلى صنعاء، وذلك عندما كان اليمن منقسماً إلى دولتين مُتناحرتين، اليمن الجنوبي، واليمن الشمالي.

وكنت حينئذ في زيارة إلى صنعاء، فسمعت من بعض رجال السلفيين المثقفين، أنه يوجد بين قوات فتح ضابط يدعو إلى فكر الشيخ عبد الله الهرري الحبشي، وهو شيخ مقيم في لبنان، ويُريدون أن يذهبوا إليه لإجراء نقاش وحوار في مسألة (عُلو الله على خلقه) وهي مسألة يَعِدُّها السلفيون من أكبر المسائل الإيمانية في الزمن المعاصر، حتى أنهم جعلوها مقياساً لصواب الإيمان، أو خطئه، بينما كان رأي الشيخ الهرري الحبشي، أنّ الله موجود في كل مكان.

راقني الموضوع فطلبت من أحدهم أن يسمح لي بحضور النقاش، فوافق على حضوري ضيفاً، وليس محاوراً.

وعندما حان الوقت، اجتمعنا، وذهبنا إلى مكان الحوار في بيت الضابط، فدخلنا إلى المضافة، وكانت كبيرة جداً، وتعج بشباب من فتح، أتوا ليسمعوا الحوار والنقاش، بينما كان عدد وفد السلفي، لا يتجاوز السبعة، منهم العبد لله.

وبعد السلام والتعارف، بدأ الحوار، فقال أحد السلفيين مُوجهاً كلامه إلى الضابط: إنّ كل موضوع له مصادر ومَرجعيات يتم الرجوع إليها، والاعتماد عليها حين الاختلاف، و مراجعنا هي:كتاب الله، وسنة رسوله، وفهم الصحابة لهما. فما قولك!؟

فرد الضابط عليه: أوافقك على كتاب الله فقط. لأن مسألة الأحاديث النبوية لن تَحْسُمَ الأمر بيننا، فكما تعلم، ما يصححه شيخكم الألباني، يُضَعِّفه شيخنا الهرري. أما بالنسبة

لفهم الصحابة، فأنا غير مُلزَم بفهم أحد، و لم يتعبدنا الله، أو يأمرنا أن نتبع فهمهم.

وعندما انتهى الضابط من كلامه، نظر السلفيون إلى بعضهم، وهامسوا فيما بينهم، كيف نصنع ؟ وماذا نعمل؟ فَكَلّفوا كبيرهم بالحوار، والرد على هذا الكلام بما يفتح الله عليه.

ومضت ساعة، ولحقتها ساعة أخرى، والحوار في صَد ورد، والضابط يُناور بصورة ذكية، حيث أجهض كل محاولة لدحض فكره أو حصاره، وبقي محافظاً على هدوئه وابتسامته، بينما غلبت على السلفيين مشاعر الحدة والغضب وارتفعت الأصوات عالياً، وفقدوا السيطرة على مجرى الحوار، وخرج الأمر من يدهم، وصَرَّح أحدهم، أنه كان يظن أن النقاش سوف ينتهي خلال بضع دقائق، لقوة أدلة السلفيين، وتفاجأ أن النقاش تجاوز الساعتين، وهم في مكانهم يُراوحون، وظهر الضيق والانزعاج على وجوه السلفيين

جميعاً، وتهامسوا كيف نخرج دون نتيجة ؟ ونترك للضابط فرصة تقديم نفسه كمنتصر في النقاش علينا، ويظهر أمام جماعته بصورة القوي صاحب الحجة، بل؛ والأخطر من ذلك أننا لم نستطع أن ندحض فكره!؟

فهمست لجاري الذي أذن لي بالحضور: أتسمح أن أتدخل في النقاش ؟ (وكنت صامتاً طوال الحوار).

فنظر إليّ مَليّاً، ورسم على شفتيه ابتسامة صفراء.

وقال: لمصلحة من سوف تتكلم ؟

قلت: لمصلحة الصواب، وأنا أراه في رأيكم أقرب.

قال: نحن أصحاب الفكرة عجزنا عن إقناعه، فكيف أنت!؟

قلت: ألم ينته النقاش، وأفرغتم ما في جعبتكم بصورة كاملة، بماذا أضركم إذا شاركت في الحوار!؟

فاستحسن كلامي وقال: إذن، ابدأ بالكلام.

قلت له: أّسْكت الجميع، وأخبرهم أني أريد أن أبسط قراءتي للمسألة.

نظر إليّ مُستغرباً، وتردد قليلاً، ولكنّه استسلم على مَضض خشية الهزيمة.

وقال: أيها الأخوة؛ إذا سمحتم التزموا جانب الصمت قليلاً، واتركوا الحوارات الجانبية الثنائية، لأن الأخ يُريد أن يُدلي بدلوه في القضية.

وفعلاً؛ سكت الجميع، ونظروا باتجاهي، فسارعت بإظهار ابتسامة عرضتها على الجميع تَوَدُّداً.

وقلت لهم: إذا سمحتم أريد أن يكون النقاش بيني وبين الأخ الضابط فقط.

فأشار الضابط إليهم، وطلب منهم السكوت، وعدم التدخل أبداً. وقال: لقد سمعنا القول الكثير، ولا يضر أن نسمع قولك، فهات ما عندك. وابتسم ابتسامة صفراء، ونفخ صدره.

فقلت له: أخي الكريم! هل من الممكن أن تنسى ما تم عرضه سابقاً في الجلسة، مع احترامي لآراء الجميع، وذلك حتى لا نتأثر بأقوالهم!؟

قال وهو واثق من نفسه: على الرحب والسعة، لنرى ماذا عندك!؟

قلت: عندي ثلاثة أسئلة، أريد أن أطرحها عليك قبل الحوار، وأريد أن أسمع الجواب منك أمام الحشد الكريم.

قال: هات ما عندك ؟

وأظهرَ شيئاً من التبرم والضيق!

قلت: قبل أن أعرض الأسئلة، أريد أن أعرف ما مدى قناعتك بالمقولة التي تقول:

(كان الله ولم يكن شيء غيره)؟

قال: هي مقولة صحيحة، وأنا أؤمن بها.

قلت: حسناً؛ فلنستصحب ذلك القول معنا أثناء الجواب على الأسئلة.

اسمع:

س١– عندما خلق الله الشيء، هل دخل فيه ؟.

س٢– عندما خلق الله الشيء، هل خلقه في نفسه ؟

س٣ – أليس وجود الله مُغايراً لوجود الشيء ؟.

فنظر إليّ مَلِيًّا! ثمّ قطبَ حاجبيه!، وارتفع صوته عالياً، وصاح: **أنا لا أناقشك، أنتَ.**

وسرعان ما تَدَخَّل السلفيون، وقد رجعت إليهم الروح وقالوا: بل هو معنا، وواحد منا، ونحن نتبنى قوله، وأنتَ مُلزم بالرد عليه. وإلا يُعَدُّ سكوتك هزيمة، وانسحاباً من الحوار!.

وارتفعت الأصوات، وعلا الضجيج، وانفضّ المجلس على تلك الفوضى العارمة، والتَفَّ شبابٌ فتح حولي يسألونني في مسائل شتى، والسلفيون ينظرون إليّ كارهين، وحَثَّني صاحبي على الرحيل، خشية الفتنة. فانسحبت بأدب، وسارعت في الانصراف.

سوف أرمي الماجستير في القمامة إن صح قولك

(١٣)

كنت في مسبح مع بعض الشباب، نمارس السباحة ونعرض أجسامنا لأشعة الشمس، وكما جرت العادة يتخلل جلساتنا ضحك، ومَرَح، وحوار، ونقاش، وينخرط شباب جدد في نشاطنا الرياضي والثقافي، وهكذا جاء أحدهم، وألقى السلام علينا، ثم سأل عني، فأشاروا إلى جهتي، فاقترب مني.

قال: أنا فلان أحمل شهادة ماجستير في اللغة العربية.

قلت: تشرفنا، أهلاً وسهلاً بك.

قال: لقد سمعت أنك تقول: إن كلمة (نساء) هي جمع لكلمة (نسيء)، هل هذا صواب ؟

قلت: نعم!، وما الخطأ في قولي ؟

قال: لم ترد كلمة (نساء) جمعا لكلمة (نسيء) أبداً، وإنما هي جمع لا مُفرد لها من جنسها، وهي جمع لكلمة (امرأة) ليس من جنسها.

و انضم إلينا بعض الشباب، يسمعون ما يدور من حديث بيننا، وتَدَخَّل أحدهم، قائلاً: إنّ الأستاذ فلان، الذي يتكلم معك، يحفظ ألفية ابن مالك في النحو، كما أنه يحمل شهادة ماجستير في الشريعة، إضافة لماجستير اللغة!.

قلت: ما شاء الله!، وهل مطلوب مني أن أخضع له، وأُقَبِّل يديه ؟ أم أرتجف خوفاً، وهلعاً، وأتلعثم أمام الشهادات ؟

وتابعت حديثي قائلاً: ما المطلوب مني الآن ؟ لقد سمعتُ رأيك، وأنتَ تعرف ما أراه صواباً ؟

قال الأستاذ: أريد أن أعرف كيف وصلت إلى هذا الرأي؟

قلت: سوف أختصر لك ما استعجم عليك فهمه.

أخي الكريم: لقد انطلقت من عدة نقاط، أهمها:

١- الواقع سابق و الاسم لاحق. بمعنى أن المسميات توجد قبل أسمائها.

٢- الجمع أمر لاحِق لوجود الفرد الذي يتعدد وجوده في الواقع، وإلاّ كيف تمت عملية الجمع؟.

٣- الأصل في الجمع أن يكون مُشتقاً من مُفرد من جنسه.

نحو قولنا: قلم، أقلام. جبل، جبال. فرد، أفراد.

وَوُجد في اللغة جمع لا مفرد له من جنسه نحو:

كلمة (الجيش)، وهي كلمة لا مفرد لها من جنسها، وقد أُطلِقت على مجموعة من المقاتلين لظهور صفة الجَيشان في نفوسهم، وهي مشتقة من كلمة (جَيَشَ). ولا يصح أن يُقال: إنّ مفرد الجيش هي كلمة الجندي. والصواب في واقع الحال، أنّ مفردها هو المقاتل لِتَحقُق صفة الجَيشان في نفسه، على خلاف الجندي المستقر في نفسه.

وكلمة (نساء) جمع لكلمة (نسيء)، وهي من جنسها، واستُخدِمت جمعاً لكلمة (امرأة) لظهور صفة التأخير في المرأة على الغالب، فأطلق عليهن اسم النساء. وصفة التأخر؛ تحققت في وقوفهن خلف قيادة الرجال غالباً في الحياة الاجتماعية، والاقتصادية والسياسية والعسكرية. فالرجال في المقدمة يدافعن عن النساء، ويُؤمِّنَّ لهن الحياة الكريمة، وتحفظ النساء الخطوط الخلفية للرجال، ومنهن يأتي المدد بالقوة

المعنوية والمادية. **فالعلاقة بين الرجال، والنساء، علاقة جدلية تكاملية، وليست تفاضلية،ولامساواة،فالرجل أب،والمـــرأة أم، وكلاهما أبوان وفي الأصل إنسان.**

قال الأستاذ: ولكن لم يرد في الخطاب العربي استخدام هذا الجمع لكلمة (نسيء).

قلت: وهل وصل لنا كل ما تم استخدامه في الخطاب العربي ؟

قال: هذه هي المعاجم اللغوية الموجودة، ولم تذكر ذلك الجمع.

قلت: وهل أحاطت المعاجم بكل مفردات وجموع وأساليب العرب ؟

قال: المفروض أن يكون كذلك.

قلت: الافتراض شيء والواقع شيء آخر، فالمعاجم ليست محفوظة مثل القرآن، وليست مقدسة، وليس لها صفة الكمال. فهي ليست أكثر من مُساعد على الدراسة، **والقرآن حُجَّة على المعاجم، والعكس غير صواب.**

وتشعب الحوار كثيراً، وصار فيه تكرار وحشو، وصد، ورد، وتَدَخَّل الحاضرون في النقاش، و لم يتم حسم المسألة.

وغلب الانفعال على الأستاذ، وقام بعرض معلوماته التي يحفظها، ونقل آراء وأقوال النحاة، وغيرهم من الفقهاء. وتوجه أخيراً في الحديث إلى شخصي.

فقال: ما ينبغي أن يتكلم الإنسان فيما لا يُحسن من العلوم وأنا أتحداك أمام هؤلاء الشباب، والأخوة، **وسأرمي شهادة الماجستير في سلة القمامة، إن ظهر لي أن كلامك صواب.**

قلت: وأنا قبلتُ التحدي، وبيننا موعد سوف نجتمع فيه، مع من يريد من الحضور لنتابع الحوار.

فقام أحد الأخوة وقال: أنا سأرتب لكما موعداً قريباً بالتنسيق معكما.

وتابعنا نشاطنا الرياضي، وافترقنا على وعد اللقاء.

وذات يوم، وقع تحت يدي كتاب (لسان العرب)، فقلت في نفسي: لأنظر فيه، وأرى ماذا يقول عن دلالة كلمة (نسيء)، وفعلاً؛ فتحت الكتاب على مادة (نسأ)، وقرأت

بهدوء، ووعي ما يسرده ابن منظور، فمن المعروف أن لسان العرب يميل إلى الإطالة في الشرح، حتى وصلت إلى مقولة وقفت عندها، وقرأتها عدة مرات وهي:

(يُقال: **امرأة نسء ونُسوء، ونسوةٌ نِساءٌ.** إذا تأخر حيضها، ورُجي حبلها فهو من التأخير،...) فذهلت عندما وجدتها بهذه الصراحة، وسررت منها كثيراً، واحتفظت بالمجلد إعارة،حتى موعد الجلسة القادمة.

واتصل بي الأخ الذي حمل على عاتقه مسؤولية انعقاد الجلسة، وحدد الزمان والمكان، وعندما حان وقت الجلسة، ذهبت إلى المكان المتفق عليه، فرأيت مجموعة من الأخوة حاضرين، منهم من أعرفه ومنهم من لا أعرفه. ألقيت السلام على الجميع، وقعدت في أقرب مكان ظهر لي. وبعد وقت يسير جاء الأستاذ، ودخل بثقة، وكبر المشايخ! واتجه إلى صدر المكان، بعد أن تمَّ إخلاؤه له.

وبدأ الحديث حامداً الله ﷻ، ومُصلياً على النبي وآله وصحبه، ودعا الله ﷻ وحمده على ما أنعم عليه من علم وفقه!.

ثمَّ توجه بالحديث إلى شخصي قائلاً. أخي الكريم إنَّ الرجوع عن الخطأ فضيلة، والتمادي فيه رذيلة. فلا يمنعك الكِبَر، والناس من أن ترجع إلى الحق.

قلت: أشكر لك نصحك! وقد قبلته مع عدم رفضي له سابقاً.

ولكن اعلم أخي الكريم! إنّ الحوار والنقاش بين اثنين لا يكون **بالدعاء والنصيحة، وإنما بالبرهان والبينة**. وما أتيت إلى هذا المكان لتدعو لي! فإن ربي قريب مجيب الدعوات، وقد قال: ادعوني أستجب لكم.

قال: حسناً! اسمع! لقد سألت مجموعة من أساتذتي الذين يحملون شهادة الدكتوراه في اللغة، إضافة إلى علماء في اللغة قد درست عندهم في المساجد.**كلهم قالوا: لم ترد كلمة (نساء) جمعاً لكلمة (نسيء)، وإنما جمعاً لكلمة (امرأة)**.

وهذا يُلزمُك بالاعتراف بخطئك، والرجوع عنه.

وابتسم ابتسامة عريضة، ونظر إلى الجميع متباهياً نافخاً صدره.

قلت: لن أُعيد النقاش معك وأُثبتُ لك صواب قولي بناء على منهجي الذي أتبناه في البحث. وإنما سأُجاريك، وأعرض عليك برهاناً أكيداً عن طريق ما تُقدسه من الكتب والرجال!. وفتحت كتاب (لسان العرب) وقرأت له الجملة المعنية بالنقاش، فسكت ملياً، وهو مذهول!، ثم قال: أعطني الكتاب ؟

فناولته الكتاب، فنظر إلى عنوانه مرتاباً، وتأكد أنه فعلاً من أجزاء لسان العرب، وفتح على مادة (نسأ)، وبدأ يقرأ مدمدماً، وظهر على وجهه التغير، إلى أن انتهى.

فقال: عفواً! أريد أن أُجري اتصالاً هاتفياً مع الدكتور الشيخ فلان.

فطلبت منه أن يكون الحوار بينهما على مسمع الجميع ؟ فرضي وحَوَّل الجهاز إلى صوت المكبر.

رد الدكتور على المخابرة، وبعد أن تبادلا السلام، سأله صاحبنا: دكتور! ألم أوجه إليكم منذ بضعة أيام سؤالاً حول

صواب جمع كلمة (نسيء) على (نِساء)، وقلتم؛ لا يصح ذلك، و لم يرد في المعاجم هذا الجمع ؟.

فأجابه الدكتور: نعم قد حصل ذلك، فما المشكلة ؟ وأين السؤال ؟.

فقال صاحبنا: دكتور! بين يدي الآن كتاب لسان العرب، وقد أورد تحت مادة (نسأ) القول التالي: (وقرأه للدكتور)، ثم سأله؛ ما هو قولكم ؟.

قال الدكتور ببساطة: نعم! صحيح لقد أورد لسان العرب أن جمع كلمة (نسيء) هي كلمة (نساء)، ولكن هذا الجمع لم يتم استخدامه في الخطاب العربي!.

فأجابه صاحبنا: شكراً لك دكتور، وأنهى المخابرة.

والتفت إلى الجمع وقال مكابراً: أرأيتم! لا يصح الجمع!، ولو ذكره لسان العرب!. لأن العرب لم تستخدمه في الخطاب.

قلت: أخي الكريم ليس هكذا يتم نقاش المواضيع.

أولاً: النقاش بيننا كان على مسألة: النساء كجمع للنسيء موجود في اللسان العربي، أم غير موجود ؟ وأنت نفيت وجوده، وجلبت معك أقوال سادتك، وتبين فيما بعد أن

سادتك، وأنت معهم على خطأ!، وقد ظهر بالدليل الذي أقررته بنفسك وجود هذا الجمع في لسان العرب.

ثانياً: نحن نناقش مسألة صواب أو خطأ هذا الجمع لكلمة (نسيء)، ولا نناقش مسألة استخدام هذا الجمع عند العرب، أتم فعلاً، أم لم يتم، ولماذا ؟

وبالتالي، فقد ثبت لدينا صواب جمع كلمة (نسيء) على كلمة (نِساء)، من خلال ورودها في لسان العرب. وهذا الأمر، هو محل النقاش والتحدي، أما عدم استخدام هذه الكلمة في الخطاب العربي، فهذه مسألة لا قيمة لها من الناحية العلمية، والبرهانية، لأسباب كثيرة؛ أهمها:

١- استخدام القرآن لكلمة على وجه مُعين، حُجَّة كافية لا تحتاج إلى من يقول بها من النحاة، أو ورودها في الشعر أو المعاجم.

٢- إن قولك لم يتم استخدام هذا الجمع، هو ادعاء بحاجة إلى بينة.

٣-لم يوثق مؤرخونا الخطاب العربي كله، ولم يتعهد الله بحفظه، وبالتالي؛ ضاعت كوكبة من صور استخدام الكلمات لم يتم نقلها، وتعذر وصولها إلينا.

٤- عدم الاستخدام سابقاً، لا ينفي صواب الاستخدام لاحقاً، مع العلم أن استخدام اللسان العربي من قبل أي مجتمع لا يخلو من عجمة ضرورة لازمة لقصور الإنسان عن أن يكون قوله الحق.

٥- الحُجَّة في نظام اللغة، وليس في استخدامها.

٦-كل مجتمع عربي يستنبط صوراً محلية لاستخدام الكلمات غير موجودة عند مجتمع آخر، ويصدق ذلك زماناً على المجتمع الواحد ومكاناً على المجتمعات المختلفة.

لذا؛ **يا أستاذ الماجستير! قد خسرت الرهان**، ولن أطلب منك تنفيذ وعدك برمي شهادتك في سلة القمامة، **ولكن أطلب منك أن تتحرر من هيمنة الأشخاص، وعبادة التراث والإسناد**. وقمت أريد الانصراف.

فطلب أحد الأخوة مني التريث و الجلوس قليلاً. فجلست بناء على رغبته، والتزمت جانب الصمت.

وتكلم أخ آخر يريد أن يُهدئ الجو، فقال: المسألة ليست تحدياً، ولا نصراً لفلان، وخسارة لآخر. ومن الخطأ أن يصل الإنسان في تحديه إلى هذا المستوى، الذي لا يحفظ فيه خط الرجعة، ويعد رأيه حقاً مطلقاً، وقد رأيتم بأم أعينكم الموقف المحرج الذي وضع الأستاذ نفسه فيه، ومع ذلك نقول للأستاذ: نحن كلنا طلبة علم وحق، وأينما كانت الحكمة؛ فنحن أحق بها.

ومسألة رمي الشهادة في القمامة، مسألة هزلية غير جادة، ما ينبغي أن يتم التعهد بها للغير، وكان الأَولى أن يعقد العهد على أساس الرجوع عن الخطأ، وتَقَبُل الرأي الآخر، الذي ظهر صوابه. وشكراً للجميع الذين حضروا النقاش.

كيكي نبي الدجاج

(١٤)

جمعتنا مع بعض الأخوة جلسة عامة، ومن عادة الأخوة أن يتم عرض بعض الأفكار،في الدين،والسياسة،وغيرهما للنقاش والحوار.

وحدث أن عرض أحد الأخوة مقولة (**القرآن لا يحتاج إلى غيره في الفهم والدراسة**)، وأن عملية فهمه ذاتية كامنة في داخله.

اعترضت وقلت: هل أفهم من كلامك أني أستطيع أن أحمل نسخة من القرآن فقط، وأذهب إلى رأس جبل وأعتكف هناك، وأقوم بدراسة القرآن، لأفهمه بمعزل عن التاريخ، والمجتمعات الإنسانية، والعلم وتفاعل الناس ؟

قال: القرآن هو المصدر الإلهي التشريعي الوحيد، و لم يترل الله ﷻ وحياً آخر.

قلت: يا أخي! ينبغي أن تُفرق بين مقولة: (**القرآن لا يحتاج إلى أي شيء من خارجه لدراسته، وفهمه**)، ومقولة: (**القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي**).

فأيهما تقصد ؟

قال: كلاهما.

قلت: لقد ابتعدت عن الحقيقة، وخلطت الحابل بالنابل، وأسأت إلى دعوتك، فالأمر ليس كذلك، ويوجد فرق كبير بين القولين. فأنا أوافقك على قولك: (**إن القرآن هو المصدر الوحيد للتشريع الإلهي**)، ولكن أرفض وأتحفظ على قولك الآخر.

قال: لماذا؟ أليس القرآن كتاباً مترلاً من رب العالمين، ومحفوظاً من التحريف ؟

قلت: ومن أنكر ذلك ؟ لماذا تعرض أي كلام لمجرد العرض والنقاش ؟

قال: ألم يقل الله في كتابه{ **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ**} (**الأنعام ٣٨**) ؟

قلت: رجعتَ إلى الاعتباطية في الاستدلال، وأضفتَ إليها صفة القطع، والقص، والوصل في مكان آخر، هذه ليست آية، وإنما جملة وجزء من آية، وإذا أرجعتها إلى مكانها من النص، تعرف ماذا يقصد الله ﷻ بكلمة (الكتاب) ؟

قال: ائتوني بالمصحف، حتى أعرف إلى ماذا ترمي، وما تقصد من قولك ؟

وفعلاً أتوه بالمصحف، وفتح على سورة الأنعام آية (٣٨)

قلت: اتل بصوت عال حتى نسمع معك ؟

فقام بتلاوة النص {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ** مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ }**(الأنعام ٣٨)**

قلت: هل دلالة كلمة (الكتاب) في سياق النص تدل على القرآن ؟

قال: لا، لا تدل على القرآن.

قلت: أرأيت كيف أن الأسلوب الاعتباطي، وأسلوب قص ولصق يوقعك في أخطاء كثيرة.

قال: ما وجه رفضك لمقولتي الثانية ؟

قلت: إنّ القرآن كتاب رب العالمين، وقد تميز بأسلوبه ونظمه، وبالتالي، تميز بأسلوب التعامل معه ودراسته. فمن المعلوم أن مواضيع القرآن، لم يتم ترتيبها تاريخياً، أو علمياً، وإنما توزعت المواضيع، وتداخلت فيما بينها، وهذا اقتضى أن يكون للقرآن نظام خاص به للتعامل معه، ويقتضي ذلك أن ينص القرآن على نظامه في محتواه. وإذا درست القرآن بوعي، تصل إلى هذا النظام، وتستطيع أن تُخرجه بصورة قواعد، منها:

١- **إسقاط النص على محله من الخطاب** (ربط النص بالواقع).

٢- **فهم النص القرآني من خلال المنظومة القرآنية كلها.** (عدم الوقوع في التعضية)

٣- **تقاطع المنظومات مع بعضها وعدم تناقضها.**

٤- **انسجام منظومة القرآن مع منظومة الكون** (آفاق وأنفس).

٥- **فهم القرآن من خلال أبعاده العلمية** (آفاق وأنفس)

٦- **فهم المادة القصصية من خلال البُعد التاريخي والعلمي.**

٧- **فهم مجموعة من الأحكام السلوكية من خلال البُعد الثقافي.**

وسأضرب لك مثلاً على الفهم الاعتباطي، وعملية القص واللصق، وعضوضة النص القرآني، إلى أين يمكن أن تصل في فهمك. انظر إلى النص القرآني الذي ذكرته أنت في بداية حديثك{وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم **مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ** مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ} فلو أخذت هذا النص وقمت بعملية تقاطع مع نص آخر يقول: {وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خلَا فِيهَا نَذِيرٌ} (فاطر٢٤) إلى ماذا تصل بفهمك ؟

قال: من خلال الظاهر، أصل إلى أن الحيوانات قد خلا فيهم نذير، بما أنهم أمم أمثالنا.

قلت: هل توافق على هذا الفهم والنتيجة ؟

قال: بصراحة! لقد تفاجأت من هذه العملية المنطقية في تقاطع النصوص، وبعيداً عن التأثر في التراث والاستغراب العقلي أستطيع أن أقول ابتداءً:

إنّ القرآن ذكر ذلك، والأمر فوق مستوى العقل والفهم، فلا أملك إلاّ أن أتبع القرآن، وأقول ما يقول من باب الطاعة، والالتزام والإيمان.

قلت: إذاً؛ أنت تؤمن بوجود النبي كيكي عليه السلام!

قال: ومَن النبي كيكي هذا!؟

قلت: عجباً؛ ألم تقل بوجوب وجود نبي أو نذير لكل أمة، والحيوانات أمم أمثالنا!، فأمة الدجاج عندهم نبي اسمه كيكي صلى الله عليه وعلى دجاجاته!.

قال: مهلاً يا أخي! فالأمر غيبي، ولا أستطيع أن أُثبِت هذا النبي كيكي، ولا أن أنفيه، ألم تقرأ خطاب الله ﷻ للسماء والأرض{ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ}(فصلت١١)، وقوله{إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً} (الأحزاب ٧٢)، انظر لصفة الطاعة، أو الكره للسموات والأرض، وصفة عرض الأمانة، وعمليتي الرفض، والشفقة، أليستا من صفات عاقل، يملك إرادة حرة ؟.

قلت: **إنك بحاجة إلى عملية فرمته، وتحديث لأنظمتك المعرفية!**، والوقت لا يسمح بذلك، وأنا منشغل بأمور أهم من ذلك، فإلى اللقاء يا صاحبي، وسلم لي على النبي كيكي، وقل له: إن النبي بطوط يُسلم عليك!.

هذا أبو نديم

(١٥)

كنت في زيارة لأحد أصحابي؛ في قرية نائية، فعرض علي زيارة مَضافة القوم، فذهبنا إليها، ولما وصلنا ودخلنا، لاحظتُ وجود كلب أسود في جانب المضافة، لأنها كانت مبنية على نظام البناء العربي، فلا يوجد درج لها، ومدخلها يبدأ بمساحة فُرشت بالحصى والحجارة الصغيرة لتجنب الطين والأوساخ.

أفزعني وجود الكلب وما يحمله من مخاطر محتملة، فهمست بأذن صاحبي: لماذا لا تطردون هذا الكلب من المضافة!؟

فضحك! وقال: كيف نطرده ؟ هذا أبو نديم.

قلت مستغرباً: ومَن أبو نديم هذا!؟

قال: سوف أقُصُّ لك القصة فيما بعد.

قلت: لا بأس.

وأمضينا زيارتنا بسرور، وتعرفتُ خلالها على كثير من أفراد القوم الكرماء، وأسعدتني عاداتهم العربية العريقة، وتناولنا الغداء على مائدتهم العامرة.

وبعد أن عُدنا إلى بيت صاحبي، استلقى كل منّا على فراشه.

قلتُ لصاحبي: أخبرني قصة أبي نديم؟ فأنا في شوق لها.

قال: يا سيدي! أبو نديم كان رجلاً شريراً، وتوفي، وبعد فترة من الزمن جاء كلب أسود إلى المضافة وبدأ ينظر يمنة ويسرة، فناداه كبير القوم، فأتى إليه مطأطئ الرأس، ولما وصل إليه، أقعى على ذنبه، وبدأ يلهث، وينظر إلى كبير القوم، فنظر إليه مبتسماً، وقال له: عرفتك لا شك أنك أبو نديم، فنبح الكلب!، فقام الشيخ وربتَ على رأسه. وتوجه إلى القوم قائلاً: هذا أبو نديم قد جاءكم تائباً نادماً، فلا تمنعوه من دخول المضافة بعد الآن؟.

وفعلاً يذهب الكلب، ويغيب ساعات طويلة، ثم يعود إلى المضافة، التي جعلها مقراً له، وصار الناس يُطعمونه، ويَربُتون على رأسه كلما دخلوا، بل؛ وصاروا ينادونه: أبا نديم، ومن كثرة تكرار ذلك على أذن الكلب صار يستجيب لندائهم، فثبت عندهم أنه فعلاً أبو نديم.

قلت: وما علاقة أبي نديم بهذا الكلب الأسود؟

قال: نحن نؤمن بالتقمص.

قلت: وما هو التقمص ؟

قال: نحن نعتقد أن الناس الصالحين يعودون بعد وفاتهم إلى الحياة في أجساد بشرية أخرى في مكان وزمان مختلف عن الأول، بينما الناس الأشرار يعودون إلى الحياة في أجساد الحيوانات، وذلك حسب درجة شرهم.

قلت: إذاً؛ الكلب الأسود هو صورة جسدية لأبي نديم الشرير ؟

قال: نعم! هكذا نعتقد.

قلت: وأنت تعتقد ذلك ؟

قال: ما أنا إلا واحد من قومي، وأعتقد ما يعتقدون.

قلت: هل قُمتَ مرة بنقاش هذه الفكرة، مستكشفاً مدى مصداقيتها في الواقع ؟

قال: ومَن مِن الناس مِن كل الطوائف، يقوم بهذه العملية العقلية ؟ هذا الأمر موروث ديني مقدس غير قابل للنقاش والجدال.

قلت: ولكن الأمر على درجة من الأهمية والخطورة.

قال: هل كل أفراد المسلمين قد تحققوا من مصداقية عقيدتهم، وثبت لديهم بالبرهان العلمي أن القرآن فعلاً من الله ﷻ، و لم يصبه التحريف أبداً ؟

قلت: عدم حصول ذلك من معظم الناس، لا يُعطيك مبرراً لأن تقبل الأساطير.

قال: هل تعلم أن الذين يؤمنون بالتقمص في العالم في ازدياد، وربما أكثر من المسلمين كافة.

قلت: نعم! أعلم أن معظم سكان الشرق الأقصى يؤمنون بالتقمص، وأكثر الفلاسفة الإشراقيين يؤمنون بالتقمص، وهناك فرق إسلامية، تؤمن بالتقمص.

قال: إذاً! هي عقيدة عالمية، ويتبعها مئات الملايين من الناس.

قلت: ليس كذلك تُناقش الأفكار!، فعملية الانتشار أو الأكثرية، أو التقادم الزمني الطويل على فكر مُعين، لا يُعطيه صفة البرهان على أحقيته أو صوابه.

قال: يا صاحبي! مالك ولهذه الأفكار ؟ أنت راض عن فكرك، دع الآخرين كذلك.

قلت: أنا راض عن فكري، ولكن بعد دراسة وتمحيص، ومازلتُ إلى الآن أقوم بعملية تحديث دائمة لأفكاري، وأنا لا أمنع الآخرين من اعتقاد ما يرونه صواباً، ولكن هذا لا يلغي أهمية النقاش والحوار؛ لأنهما طريقة فعالة لتحديث الفكر والإطلاع على ما عند الآخرين،، شريطة عدم التعرض بالسخرية لأي فكر يحمله أي إنسان، وبذلك يكون الحوار جسراً يُسَهّل عملية التواصل مع الآخرين واحترامهم وفرصة لصقل الأفكار، ومعرفة مصداقيتها على أرض الواقع.

قال: يا صاحبي! الأمر أكبر مني ومنك، وأنا لا أناقش هذه الأفكار، ولا تهمني النتيجة في شيء.

قلت: عجباً يا صاحبي، ألا يهمك كيف تعيش ؟ ومن أجل ماذا ؟ وإلى أين تذهب بعد الموت ؟ أهناك حساب ومسؤولية عن أعمالنا، أم لا يوجد ؟ **أسئلة مصيرية مرتبطة بحياة الإنسان منذ بداية وجوده على سطح الأرض، وشغلت عقول كبار الفلاسفة قديماً وحديثاً، ومازالت العُقدة الكبرى في الفلسفة متمثلة بثلاثة أسئلة: كيف، لماذا، أين ؟** وانتظرت الجواب!، فلم أسمع سوى شخير صاحبي النائم.

وجود الله رأي فلسفي أم حقيقة فلسفية ؟

(١٦)

أعلن مركز ثقافي دمشقي عن وجود محاضرة لفيلسوف مرموق حول قصيدة (لا أدري) لإيليا أبي ماضي.

فذهبت إلى المحاضرة، وسمعت كغيري شـــرح الـــدكتور للقصيدة، وبغض النظر عن مستوى العرض الذي قدمه حول فلسفة أبي ماضي، انتـــهت المحاضـــرة، وبـــدأت الأســـئلة والمداخلات تُعرض على الدكتور للإجابة والتعليق عليها.

ولفت نظري سؤال طُرح على الدكتور مفاده: **وجود الله حقيقة فلسفية أم رأي فلسفي ؟**

فضحك الدكتور، وقال: سؤال هام جداً، وهو حساس ذو أبعاد ثقافية، وفلسفية. وتابع حديثه قائلاً: إن المنطق الذي يستخدمه من يؤمن بوجود الله، هو ذاته يصح لنفيه! وإليكم البيان:

يقول المؤمنون بالله:

إن كل موجود لا بد له من موجد........مقدمة أولى

الكون موجود.........................مقدمة ثانية

إذاً؛ لا بد للكون من موجد..............نتيجة

بينما يقول من ينكرون وجود الله:

إن كل موجود لا بد له من موجد.........مقدمة أولى

الله موجود............................مقدمة ثانية

إذاً؛ لا بد لله من موجد...................نتيجة

وضحك وقال: أرأيتم كيف أن المسألة غير محسومة!. فمسألة الإثبات والنفي لوجود الله متساوية فلسفياً، وبالتالي، فالإيمان بالله ليس حقيقة فلسفية، وإنما رأي فلسفي!.

فتذمر معظم الحضور، وجرى بينهم همس؛ ما هذا الهراء الذي يقوله الدكتور ؟

فطلبت من المسؤول عن المحاضرة القيام بمداخلة للرد على كلام الدكتور، فأذن لي، واتجهت إلى مكان الكلام، وألقيت السلام، وشكرت الدكتور على المحاضرة، والحضور على حسن الاستماع، والمشاركة، ووجهت حديثي إلى الدكتور قائلاً:

كنت أتمنى من الأستاذ المحاضر أن يُبدي رأيه الشخصي في هذه المسألة بصراحة وشجاعة، لا أن يترك الحضور ليستنبطوا رأيه؛ وفقاً للغموض الذي يبدو أنه يستمتع به، وعلى كل أنا سأتصدى لمناقشة الأفكار العلمية لا الجوانب الشخصية.

إن المنطق الأرسطي منطق عقيم، فهو لا يُفيد الذكي، ولا يفهمه الغبي، وليس هو إلاّ إقرار للواقع في حال أصاب الحقيقة، ولا يمكن أن ينشأ منه علم جديد، وأي خطأ في استخدام المنطق يوصل إلى خطأ في النتيجة، وهذا ما حصل مع السيد المحاضر، إذ استخدم المنطق بصورة خاطئة، فوصل إلى نتيجتين متناقضتين، وظن أنهما صواب منطقياً. والخطأ هو في استخدام كلمة (موجود) بقياس النفي المتعلق بالله، وليس بالإثبات.

لأن دلالة كلمة (موجود) تدل على الشيء الذي وُجِدَ بعد أن لم يكن موجوداً، مع إمكانية ذهابه؛ فعندما نقول: كل موجود لا بد له من موجد. بمعنى أن كل ما يتصف بصفة الإمكان في ظهوره، أو غيابه، فلا بد له من موجد لا يتصف بصفته، وهو مغاير له.

لذا؛ لا يصح وصف الله ﷻ بصفة (الموجود) لمحدوديتها، وإمكانيتها في الحضور و الذهاب، وإنما يتصف الله ﷻ بصفة الوجود اللازم، الذي يُعبر عنه علماء الكلام بقولهم: واجب الوجود. وهذه الصفة لله ﷻ ثبتت من خلال قاعدة: لا بد لكل فعل من فاعل ضرورة.

وبذلك يظهر لنا خطأ من استخدم المنطق لنفي وجود الله ﷻ، وذلك حينما دسَّ تحت المقدمة الأولى (لابد لكل موجود من موجد). مقدمة ثانية غير مستغرقة في الأولى، لأن الله لا يتصف بصفة الموجود، وبالتالي لم تستغرقه المقدمة الصحيحة الأولى، فوصل إلى نتيجة باطلة كما سمعتم.

فوجود الله حقيقة فلسفية، وليس رأياً فلسفياً، وإذا أردنا أن نستخدم المنطق للاستدلال، فينبغي أن ننتبه إلى أن تكون المقدمة الأولى صواباً، وأن تكون المقدمة الثانية مُستغرقة فيها، لنصل إلى نتيجة منطقية.

وذلك على الشكل التالي:

-لا بد لكل فعل من فاعل.............مقدمة أولى.

(صواب في الواقع).

-الكون فعل.........................مقدمة ثانية.
(مستغرقة في الأولى لأن الكون محدود رغم اتساعه).
-لا بد للكون من فاعل ضرورة.......... نتيجة.
(نتيجة منطقية صواب موافقة للواقع).

غير أن مفهوم وجود الله حقيقة غير قابلة للبرهنة عليها لأنها فطرة لازمة للإنسان لا يملك رفضها، فهي متعلقة بالتصديق، بينما الإيمان بالله متعلق بالحرية والاختيار،لنصل إلى أن إثبات وجود الله فطرة، والإيمان به حرية، وكلاهما لا يخضعان للبرهنة أو النقاش،لأن التصديق بوجود الخالق المدبر مسألة مُسلَّم بها ضرورة عقلية، والإيمان به موقف أخلاقي. {وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقاً }الكهف٢٩

فصفَّق الحضور بشدة، ولم ينتظروا تعليق الدكتور على المداخلة، وقاموا وانصرفوا.

العلم محله المثانة أم العقل

(١٧)

قال شيخ أزهري إنّ الأحاديث التي تقول: إنّ امرأة شربت من بول النبي ﷺ، وأُخرى كانت تجمع عرق جسمه وتضعه في قارورة لتستخدمه عطراً فيما بعد، والصحابة كانوا يتسابقون للحصول على نخامة النبي، ويمسحون بها وجوههم، هي أحاديث صحيحة.

وقال بجواز التبرك بفضلات النبي ﷺ.

فتلقف ذلك الرأي العجيب شيخ صوفي، وقال لمريديه: نحن معشر العلماء ورثة الأنبياء في العلم والفضل. فمِن الطبيعي أن يُعاملنا المريدون كما كانوا يعاملون الأنبياء، من حيث التعظيم، والطاعة، وتقبيل اليد والخدمة، إلى التبرك بفضلاتنا أسوة بالنبي العظيم.

قال مريد: ما هي الوسيلة يا شيخنا للحصول على فضلاتكم ؟

الشيخ: لنتداول الموضوع مع باقي الأخوة، فماذا تقترحون؟
أجاب مريد آخر: أقترح يا شيخنا أن يتم جمع البراز والبول في عبوات مغلفة ليتم توزيعها على الأخوة المريدين.

الشيخ: نِعْمَ الرأي! أحضروا العبوات اللازمة لذلك.

المريد: أنا سوف أحضر تلك العبوات.

وفعلاً؛ بذل الشيخ جهداً مشكوراً وقام بتعبئة العبوات بفضلاته الوفيرة، **هذه لعرقه، وهذه لبوله، وأخرى لبرازه،** وظهرت فكرة اقترحها أحد المريدين الأذكياء، وهي محاولة إيجاد وسيلة **لتعبئة فضلات الشيخ الغازية،** وهي الآن بصدد الدراسة!.

طرق ذلك الحدث الغازي سمع أحد أصحابي، وسرعان ما قَدِم إلي، وأخبرني الخبر البرازي المهول.

قلت: قم بنا إلى الشيخ، ونتأكد من الخبر بأنفسنا!.

عندما وصلنا إلى مركز الشيخ، رأينا مريديه متجمعين حوله، يحاولون أن يأخذوا زفير الشيخ، ليكون شهيقاً لهم.

ألقينا السلام على القطيع! وطلبنا الإذن بالكلام من كبيرهم، فأومأ بيده أن تفضلا بالكلام.

قلت: يا شيخ! سمعت أنك تأمر بتعبئة فـــضلاتك الماديـــة، والسائلة، والغازية في عبوات، وتوزعهـــا علـــى مريـــديك للبركة!.

الشيخ: نحن لم نأمر بهذا، ولكن المريدين بارك الله فيهم؛ عرفوا لأهل الفضل قيمتهم، وعظمتهم، فسارعوا إلى فعل ذلك محبة من تلقاء أنفسهم.

قلت: ولكن كيف تسمح بهذا العمل المشين!؟

الشيخ: مهلاً يا بُني! إنّ هذا العمل قد سمح به النبي العظيم لأصحابه، كما ورد في كتب الحديث بسند صحيح.

قلت: يا شيخ! على سبيل الافتراض أن ذلك حصل من النبي ﷺ مع أصحابه فما علاقتك بذلك ؟

الشيخ: قاتل الله الجهل! ألا تعلم يا بني! إنّ العلماء ورثة الأنبياء ؟.فيجب أن يتم معاملة العلماء مثل معاملة الأنبياء تماماً!.

قلت: يا شيخ! أولاً الخبر يتكلم عن العلماء، وأنت مع احترامي لك، غير مَعنيّ بالكلام، لأن العلم هو شيء مرتبط بالوجود الموضوعي، ابتداءً من العلم بالله عزّ وجلّ إلى العلم بأفعاله، وكيف تحدث، وما هو القانون الذي يحكمها مثل

علوم الرياضيات، والفيزياء، والكيمياء، وغيرها، أما معرفة نواقض الوضوء، أو أحكام الصيام، أو تلاوة القرآن، وما شابه ذلك، فهذا ليس علماً، وإنما هو معرفة فقهية لا تحتاج إلى دراسة، وتفكير، وسير في الأرض، فالتفكير مرتبط بالعلم، والتعقل والفهم مرتبط بالفقه. وأنت يا شيخ! إن كان لابد من تصنيفك، فأنت من الفقهاء، وليس من العلماء. فلا يصح أن تطبق هذه المقولة عليك لأنها لا تشملك.

الشيخ: هذا الذي تقوله منطق بيزنطي! فالفقه والفهم، والعلم، والإدراك كلها ألفاظ لمدلول واحد، وبالتالي، لا قيمة لكلامك من الناحية العلمية.

قلت: سوف أفترض صواب كلامك، وأقول: إنّ الفقهاء والعلماء هم في مقام واحد، وبالتالي يشملهم الحديث، وأسألك الآن سؤالاً: ماذا ورث العلماء من الأنبياء؟

الشيخ: لا شك أنهم ورثوا العلم! ولكن بما أنهم أوعية للعلم، فقد وجب تعظيم أجسامهم، والتبرك بفضلاتهم.

قلت: يا شيخ! وعاء العلم هو العقل أم المثانة!؟

الشيخ: إنك تُقَلّل من قيمة العلم بسؤالك التافه هذا!.

قلت: أريد أن أصل إلى أن القيمة موجهة إلى ما يخرج من العقل من علم وحكمة، لا إلى ما يخرج من المثانة من بول وغيره!.

وتابعت حديثي خشية أن يُنهي الحديث بسرعة كعادة المشايخ.

فقلت: أيكون الفضل بين الأنبياء، والعلماء، والناس بالعلم، والأخلاق، أم بالفضلات على مختلف أنواعها ؟ وهل يختلف بول، وعرق، وبُصاق النبي عن سائر فضلات الناس؟ بمعنى آخر أتصدر هذه الفضلات السائلة، والغازية، من الجسم والمثانة، أم من العقل والعلم ؟.

الشيخ: لقد صبرتُ عليك كثيراً، فانصرف عنّا، وإلا سلطتُ عليك المريدين.

فانصرفت ناجياً بجلدي.

الفلوس تُغير النفوس

(١٨)

عندما كنّا صغاراً نلعب في جوار الحي، كنَا نشاهد رجلاً ذا لحية طويلة، ويلبس الجلابية إلى نصف ساقيه، ويضع غطاءً على رأسه، يُسمى الغَترة، يذهب إلى المسجد بصورة منتظمة لأداء الصلوات في أوقاها، فحفظنا صورته في أذهاننا، واشتهر في الحي بلقب الشيخ، ومع الزمن صار شيخ الحي، فلا تقام حفلة نكاح إلاّ ويُدعى إليها خطيباً، ولا تحصل وفاة، إلاّ ويُدعى إليها مُلقناً الشهادة للمشرف على الموت، وواعظاً لأهله، وتالياً القرآن، وهكذا استمرت حركته في الحي بين أداء الصلوات، وحضور الحفلات، والمآتم، وتلاوة القرآن، والوعظ والإرشاد، والقيام بإفتاء الناس.

وكان الشيخ مُتشدداً مُتطرفاً في قناعاته وسلوكه الديني، فكان يحُرّم التصوير والرسم، ويحُرّم التلفزيون، والغناء والموسيقى، ولِبسَ البنطال، وربطة القميص، وهكذا، يختار من الأمور أشدّها تَكُلفاً وتَطَرّفاً وغُلُوّاً، فرفض الناس أفكاره،

وأصيب بعزلة اجتماعية، ولم يعد يُدعى إلاّ من قبل بعض العائلات للأفراح والمآتم مع عدم قناعة الناس بما يقول أو يفعل، ولكنهم تعودوا أن حضور الشيخ هذه المناسبات للبركة، أما العائلات الأخرى فدرجت على دعوة المطربين والمطربات لإحياء الحفلات.

ومضى زمن على ذلك، وانتقلنا من الحي إلى آخر، وبعد عدة سنوات زرت صديقاً في الحي القديم، وبعد انتهاء الزيارة نزل معي مشيعاً إلى ناصية الشارع، وإذ بسيارة سوداء طويلة جديدة تحمل لوحة بلد خليجي، تقف إلى جوارنا، ويترل منها رجل كهل يلبس طقماً فاخراً، حليق اللحية والشارب، وآثار النعمة ظاهرة عليه، مر الرجل أمامنا مُلقياً السلام، فرددنا التحية بأحسن منها، وتابع سيره دون أن يقف، كعادة رجال الأعمال الكبار.

فقلت لصاحبي: من هذا الرجل، كأنه ليس غريباً ؟

فأجاب ضاحكاً: لن تُصدق من هو!

قلت: ومن هو!؟

قال: إنه الشيخ راغب، شيخ الحي ذو اللحية الطويلة!.

قلت: عجباً! ماذا حصل له ؟ وأين لحيته وجلابيته!؟

قال: بعد أن انتقلتم من الحي، حصل على تأشيرة زيارة إلى الخليج، فسافر وأقام هناك، ومارس التجارة حتى بَرِع فيها، واستطاع أن يُكَوِّن ثروة لا بأس بها. وأثناء عمله في التجارة كان يسافر إلى تايوان وغيرها من البلاد الأجنبية، وهذا أثّر على أفكاره، وانفتح على الدنيا وانعكس ذلك على سلوكه رويداً، رويداً، حتى اختفت لحيته، وخلع الجلابية، وامتلك هاتفاً خلوياً، واقتنى أحدث الأجهزة الكهربائية، وابتعد عن الأفكار المتطرفة والمتشددة، إلى درجة أنه لم يعد يذهب إلى المسجد، إلاّ إلى صلاة الجمعة فقط، وفي آخر الخطبة ليؤدي الصلاة وينصرف.

قلت: سبحان الله!، إنّ الفقر والجهل هما التربة الخصبة للتطرف، والتشدد، والانعزال عن المجتمع والتقنية، ورفض الآخر.

قال: إنّ الفلوس - يا صاحبي - تُغَيّر النفوس!.

قلت: ذكرتني بأغنية خليجية تقول: **اللي ما يطول العنب حامض عنه يقول!**.

المشيخة أسهل طريق للوصول إلى الثروة

(١٩)

كنّا مجموعة نتردد إلى مسجد الحي لإقامة الصلاة أو حضور الاحتفالات الدينية. ومن جراء عملية تكرار زيارة المسجد تَعرّف علينا أحد رُوّاد المسجد والقائمين عليه، وعرض علينا أن يُعلّمنا تلاوة القرآن والفقه. فاستجاب بعض منا، ورفض الآخرون.

ومضت أيام، وشهور و سنون، والتقيت أحد الذين التزموا بالمسجد والدروس الدينية، وكان قد أرخى لحيته، ووضع طاقية بيضاء على رأسه، ولبس الجلابية، وصار شيخاً، وتعانقنا، وسلمنا على بعضنا، ودار الحديث التالي بيننا:

قلت: مضى زمن طويل لم نر بعضنا.

الشيخ: نعم! فالعمر يمضي دون توقف.

قلت: إلى أين وصلت بالدراسة ؟

الشيخ: لقد لزمت المسجد، وحفظت النص القرآني كله مع التجويد، وحصلت على إجازة في ذلك من قارئ مشهور،

كما أني حفظت مُعظم مَنظومات أمَّهات العلوم، مثل ألفية ابن مالك في النحو، والرَّحَبية في الفرائض وغيرها من المتون.

قلت: وما الفائدة من هذه المحفوظات كلها!؟

الشيخ: الفائدة! هي أدوات لازمة للشيخ حتى يستخدمُها في عملية الوعظ والإرشاد، لأنها تُعطيه نبعاً من المفردات والمعلومات التي لا تَنضب.

قلت: ماذا استفدت من ذلك خلال حياتك ؟

الشيخ: بصراحة! وبيني وبينك! لقد حصلت على مترل من أهل الحي الذين أخطب في مسجدهم، كما أني أحصل على مساعدات دائمة من أموال التبرعات، ولقد وعدوني بإعطائي سيارة بعد فترة قريبة، و أحظى بالاحترام في أي مكان أذهب إليه.

قلت: هذا معروف! **فالشيخ يُحب الصُدور كلها**، سواء أكانت صدور المجالس، أم صدور الطعام، أم صدور...

الشيخ: بصراحة، الحياة صعبة جداً، وأنا لا أتحمل التعب، والنصب، والزمن الطويل للحصول على شيء قليل، وغالباً يأتي في غير وقته.

قلت: ولكن هكذا الحياة، إنها مُعاناة، وتعب، وجهاد وعرق، وتضحية للحصول، أو الوصول إلى الأهداف.

الشيخ: ولكن إن وجدت طريق أقصر، وأخف وطأة لماذا لا نَسلُكها ؟ ولا أخفي عليك، لقد فكَّرتُ في الأمر مَليّاً، حتى وصلتُ إلى ثلاث طرق، يستطيع الإنسان من خلالها أن يصل إلى رغد العيش، والغِنى والمنصب والمجد.

قلت: أخبرني ما هي، حتى أستفيد من تجربتك العظيمة؟

الشيخ: اسمع! وأجري على الله عَزَّ وَجَلَّ.

-**الطريق الأولى**: أن تنخرط في العمل السياسي الموالي للنظام الحاكم، وتدور في فلكه، وتُردّد ما يُقال لك، وتخدم النظام، فيكافئك بإطلاق يدك في الأموال العامة، ويغض بصره عن مخالفاتك المالية وغيرها، فتحصل على ثروة كبيرة في وقت قصير. ولكن هذه الطريق غير مأمونة الجانب، لإمكانية زوال النظام وحلول آخر مكانه، فيتم تجريدك من كل شيء، وتصير عدواً للوطن، وخائناً، ويمكن أن تُسجن، أو تُنفى، أو حتى تُعدم!. فأعرضت عن ممارسة السياسة.

- **الطريق الثانية:** أن تقوم بأعمال إجرامية، من سطو وسرقة، وهذه طريق خطرة جداً، وقصيرة المدى، وعقوبتها وخيمة. فأعرضت عنها.

- **الطريق الثالثة:** أن تَسلك طريق المشيخة فتحصل على مزية الطريق الأولى من منصب ومجد، وتحصل على مزية الطريق الثانية بتحصيل ثروة كبيرة. وكل ذلك بصورة آمنة، فعوضاً عن أن تَمُدَّ يدك إلى جيب الناس، يقوم الناس من تلقاء أنفسهم بإعطائك ما في جيوبهم! والمطلوب منك أن تُبرر وتُبارك أي عمل سياسي يقوم النظام به، وتُوجد له مُبرراً شرعياً من الموروث الديني، فيستمر الناس في تمجيد السلطان والخوف منه، فتنعم برضاه، ويتم إطلاق يدك في جيب الناس من خلال السماح بجمع التبرعات، وأنت تعلم أن العاملين على ذلك لهم نسبة مئوية معترف بها شرعاً وقانوناً، فاخترت هذه الطريق الآمنة، التي لا تتأثر بتغير النظام والزمان!.

قلت: أفهم من كلامك إنَّ أقصر وأسلم طريق للوصول إلى قلوب الناس، وجيوبهم هي المشيخة!.

الشيخ: بصراحة! نعم.

قلت: واحسرتاه على القيم والمبادئ والأخلاق من رجال السوء.

الشيخ: وأنا أقول ذلك، وحزين على الوضع الذي وصلتُ إليه، ولكن، يا صاحبي! لعن الله الظلم، والفقر والجوع، والحق على من يُتاجر بحرية الناس، وذممهم، فهو المسؤول عن هذه الأوضاع.

قلت: ولكن الحل يا شيخ! ليس الانزلاق في الفساد والرذيلة والدناءة!.

الشيخ: لا أستطيع أن أعيش فقيراً جائعاً محروماً، إنها حياة صعبة!.

قلت: ألم تسمع قول الشاعر الذي يقول:

قف دون رأيك في الحياة مُجاهداً...إنَّ الحياةَ عقيدةٌ وجهاد.

الشيخ: إن الكلام سهل جداً، ولكن تطبيقه يحتاج إلى رجال عُظماء، وبصراحة! أنا لست منهم، وأرجو المعذرة منك، أريد الانصراف.

البخاري يُضَعِّفُ أحاديث مسلم

(٢٠)

جمعتنا مناسبة مع بعض الأخوة، وأخذتنا الأحاديث إلى مختلف المواضيع، حتى وصلنا إلى موضوع ديني، فاستدل أحد الحضور على رأيه بحديث من البخاري ومسلم، وكان هذا الموضوع؛ هو إمكانية وقوع السحر على النبي محمدﷺ.

فقلت له: إن هذا الرأي يُخالف القرآن ؟

فقال: المسألة ثابتة في البخاري ومسلم.

قلت: وهل يُمكن للحديث أن يُخالف القرآن ؟

قال: ومَن قال لك أنَّ الحديث يُخالف القرآن ؟ بل من الممكن أن يخصص الحديث القرآن، أو ينسخ بعضاً من مفهوم الآية.

قلت: الُمحدّثون يَعُدُّون ثبوت الحديث إنما هو على طريق الظن، والذوق، فكيف الظني ينسخ القطعي الذي هو القرآن!؟.

قال: الحديث لا يَثبُت ظنّاً، وليس خاضعاً لذوق الُمحَدِّث، إنَّ الحديث يخضع لعلم الجرح والتعديل، وهو علم له معايير وقواعد.

قلت: عجباً! منذ متى صارت معرفة ِسير الناس، وأحوالهم، علماً له معايير وقواعد!؟.

قال: هذا شيء اختص الله عز وجل به الأمة الإسلامية، وقد قال المحدِّثون: لولا الإسناد لهلك الدين، ولقال من شاء بما يشاء.

قلت: إنَّ العلم هو مجموعة قواعد وقوانين يتم البرهنة عليها من الواقع والفلسفة، فتصير معياراً، وميزاناً، يستخدمها العلماء في بناء الحضارة، على صعيد الآفاق والأنفس، فهل الإسناد هو علم بهذا المفهوم ؟

قال: نعم، إنه علم، وإلا، لماذا أمضى وأفنى المحدِّثون عمرهم في دراسة الحديث!؟

قلت: عجباً من استدلالك هذا! منذ متى كان الإدمان على شيء يُصَيِّره علماً!؟

قال: يا أخي! إنَّ الأمة تَلَقَّت أحاديث البخاري ومسلم بالقَبول، وحصل على ذلك إجماع.

قلت: إنَّ هذه إشاعة انتشرت بين المسلمين، فالأمة لم تتقبل أحاديث البخاري ومسلم كلها، وقد قام فئة من المحدثين بنقدهما، مثل الدارقطني، وغيره. بل أزيدك علماً ومعرفة! **إنَّ البخاري نفسه رفض مجموعة من أحاديث مسلم، ومسلم رفض مجموعة من أحاديث البخاري.**

قال: وكيف ذلك!؟

قلت: لقد وضع البخاري شروطاً لصحة الحديث، منها، أن يُعاصر الراوي من يروي عنه، ويلتقي به، ولو مرة واحدة، مع التصريح بذلك. أما مُسلم فلم يشترط المقابلة واللقاء بين

الرُواة، وإنما يكتفي بالمعاصرة مع عدم التصريح بانتفاء اللقاء بينهما، أي السكوت عن الأمر.

وهذا الاختلاف بين البخاري ومسلم، ترتب عليه في الواقع، رفض البخاري لمجموعة كبيرة من الأحاديث التي أخرجها مسلم، لعدم تحقق شرطه بها، وبالتالي تكون هذه الأحاديث التي انفرد مسلم بها، ضعيفة عند البخاري حسب شرطه. **وبهذا العمل يكون البخاري هو أول من ضَعَّف ورَدَّ أحاديث تلميذه مسلم!**، فكيف تقول بأن الأمة تلقتهما بالقَبول**!؟** أما مسلم فقد جرح الراوي (عِكرمة مولى ابن عباس) ورَدَّ حديثه إتباعاً لرأي المحدثين المختصين بالجرح والتعديل، ولكن البخاري ترجح عنده عدالة (عكرمة) فروى عنه أحاديث كثيرة؛ وهذا العمل من البخاري ترتب عليه **أن يرفض مسلم كل أحاديث عكرمة، ويُضَعِّفُها، وبذلك يكون أول عالم يرفض ويطعن بمجموعة من أحاديث شيخه البخاري**، ومن هذا الوجه ظهرت الأحاديث التي انفرد بها

البخاري عن مسلم، ومسلم عن البخاري. **والانفراد بالحديث لأحدهما، دليل على ضعف الحديث عند الآخر.**

مع العلم، أنك لو حللت شَرطَي البخاري ومسلم، لوجدت أنهما مُخالفان للمنطق، ولا وزن لهما البتة، لأن شرط البخاري، اللقاء مرة واحدة بين الرواة، لا يُعطي الثقة والمصداقية لأحاديث وأخبار الراوي كلها، لاحتمال وقوع الكذب، واستغلال اللقاء الوحيد، ووضع الأحاديث، أما شرط مسلم بالمعاصرة مع عدم التصريح بانتفاء اللقاء، فهو عجيب وغريب! منذ متى كان عدم التصريح بانتفاء حصول شيء، دليل على حصوله!؟ فموضوع الجرح والتعديل، وتصحيح الحديث أو تضعيفه، يخضع لِمزاج وذوق المحدِّث، ومستواه الثقافي، وولائه السياسي، ومن هذا الوجه نلاحظ أنَّ الإمام فلاناً ثقة، إلا إذا روى أحاديث متعلقة بآل البيت، مثل الحاكم الذي استدرك على البخاري في كتابه المشهور

(المُستدرك) فإنه يتساهل بروايتها، فيرفضها الآخرون، بحجة تَشَيّعه!.

قال: إنَّ كلامك هذا اتهام لأئمة الحديث بالكذب ووضع الحديث النبوي، وأنهم يُصَحِّحون الحديث حسب مزاجهم وذوقهم!؟

قلت: إنَّ هذا ليس كلامي، اسمع كلام أحد أئمة الحديث الكبار، وهو العلامة (التهانوي) فقد ذكر في كتابه (قواعد في علم الحديث) تحقيق (أبو غدة) ما يلي:

((***لاشَكَّ أنَّ أصول التصحيح والتضعيف ظنية، مَدارها على ذوق المحدث والمجتهد غالباً، فلا لَوم على مُحَدث ومجتهد يخالف فيها غيره من المحدثين والمجتهدين، ألا ترى مسلماً قد خالف البخاري في بعض الأصول...***)).

قال: ولكن يا أخي إنَّ الرُواة الذين رووا الحديث هم ذاتهم رووا القرآن، فكيف ترفض روايتهم للحديث، وتَقبَل روايتهم للقرآن!؟

قلت: يا أخي إنَّ أمرك عجيب وغريب، من قال لك إنَّ القرآن اعتمد على رُواة مُعيَّنين ومُحددين!؟ أخبرني بأسماء رواة القرآن ؟ وأين السند له ؟ **إنَّ القرآن تم نقله عن طريق التواتر، الذي هو ظاهرة ثقافية، وذاكرة اجتماعية، تَعالَت على السند، وقد شارك فيها الكفار من أمثال أبي جهل وأبي لهب!، وذلك عندما سكتوا والتزموا جانب الصمت،** ولم ينقضوا النص القرآني، أو يطعنوا فيه، مع حاجتهم لنقضه، لكسب الصراع، وإثارة الشبهات، لصد الناس عن الإيمان به، ومع ذلك لم يَرِد في التاريخ أنهم طعنوا في النص القرآني، بل وصلتنا شهادات أدلوا بها فيما بينهم على مصداقية وصواب النص القرآني(رغم عدم حاجتنا إليها)، ونسبته إلى الله عز وجل.

لذا؛ عرض هذه الإشكالية وتكرارها، لا مُبرر له، فوصول القرآن إلينا لا نَدين به للرواة، ولا فضل لهم أبداً، ولا يصح قياسه على مادة الحديث النبوي، وهذا واضح وصريح في

الواقع، فمادة النص القرآني مختلفة تماماً عن مادة الحديث النبوي.

قال: هل أفهم من كلامك أن ما يُسَمى علم الإسناد والحديث، ليس علماً، ولا قيمة له!؟

قلت: نعم، **إنه خدعة، وَوَهم!!، شغلوا به المسلمين زمناً طويلا، لصدهم عن التفاعل مع القرآن!.**

قال: هل أفهم من كلامك أنَّ كل الأحاديث النبوية كذب

قلت: لا، لم أقل ذلك، وإنما قلت: الوضع على لسان النبي ﷺ قد فشا بعد وفاته، نتيجة الصراع السياسي، والوعظ والإرشاد، واختراق الثقافة الإسلامية من قِبَل أهل الكتاب، والثقافات الوافدة للإسلام، كل ذلك، وغيره، ساهم في اختراع وافتراء الحديث النبوي.

قال: وما الحل إذاً لمعرفة الأحاديث النبوية، أليس الإسناد هو الأساس!؟

قلت: **أساس معرفة صواب الحديث النبوي هو القرآن والعلم أولاً، فإن وافق مَتْن الحديث القرآن، وانسجم معه بين يديه لا يتجاوزه، يتم النظر في سنده، فإن صح على غَلبة الظن ننسبه إلى النبي، وإن لم يصح سنده، ننسبه إلى الحكماء والعلماء، ويكون قولاً أو حكمةً صواباً، وهذا الحديث الصحيح متناً وسنداً، ما ينبغي أن يكون مصدراً تشريعياً، وإنما هو تابع للقرآن، مع استغناء القرآن عنه، ولا مانع من روايته بعد الاستدلال بالقرآن على المسألة المَعنيّة بالدراسة، والتنويه على أنه ليس برهاناً أو مصدراً شرعياً.**

اقرأ قوله تعالى: **{وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَـذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ**

أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّــي أَخَــافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ } (يونس ١٥)

واقرأ حديث النبي الذي يقول:

١- (**الحلال ما أحلَّ الله في كتابه، والحرام ما حرَّم الله في كتابه، وما سكتَ عنه فهو مما عفا عنه**)

ابن ماجه ٣٣٥٨، الدار قطني والحاكم والبيهقي و البزار و الطبراني.

٢- (**أطيعوني مادُمتُ فيكم، فإذا ذُهِبَ بي فعليكم بكتاب الله، أحلُّوا حلاله وحرِّموا حرامه**) مسند أحمد ٦٣٨١، وصححه الألباني في الصحيحة تحت رقم ١٤٧٢.

قال: لقد قلبتَ مفاهيمي كلها، وأنا الآن بحاجة إلى فرمتة وتحديث لكل أنظمتي المعرفية.

الطفل الشهيد وطريق النضال

(٢١)

دخل حمار مزرعة أبي صالح، وبدأ يأكل من زرعه الـــذي تعب في حرثه وبذره وسقيه، فرآه أبو صالح، وفكر كيــف يُــخرج الحمار؟سؤال محير! أسرع أبو صـــالح إلى البيـــت، وجاءِ بعدَّةِ العمل،القضية لا تحتمل التأخير، أحـــضر عـــصا طويلة، ومطرقة ومسامير وقطعـــة كـــبيرة مـــن الكرتـــون المقوى،كتب على الكرتونة "يا حمار اخرج من مزرعتي" ثبتها بالعصا الطويلة بالمطرقة والمسمار، و ذهب إلى المزرعة ووقف مقابل الحمار،ورفع اللوحة عالياً، وقف رافعًا اللوحـــة منـــذ الصباح الباكر حتى غروب الشمس، ولكن الحمار لم يخرج، حار أبو صالح!، وقال في نفسه: ربما لم يفهم الحمار ما كتبتُ على اللوحة!،رجع إلى البيت،ونام، وفي الصباح التالي صـــنع عددًا كبيرًا من اللوحات،ونادي أولاده وجيرانه، واســـتنفر أهل القرية، وصف الناس في طوابير يحملون لوحات كـــثيرة

تقول: " اخرج يا حمار من المزرعة" الموت للحمير" يا ويلك يا حمار من راعي الدار" وتحلقوا حول الحقـــل الـــذي فيـــه الحمار،وبدؤوا يهتفون:اخرج يا حمار،اخرج أحـــسن لـــك، والحمار يأكل، ولا يهتم بما يحدث حوله.

غربت شمس اليوم الثاني،و تعب الناس من الصراخ والهتاف، وبحت أصواتهم، ولما رؤوا الحمار غير مبالٍ بهم، رجعـــوا إلى بيوتهم يفكرون في طريقة أخرى، وفي صباح اليوم الثالـــث جلس أبو صالح في بيته يضع خطة جديدة لإخراج الحمـــار، فالزرع أوشك على الهلاك،تفتق ذهن أبي صالح عن اختـــراع جديد،نموذج مجسم لحمار يـــشبه إلى حـــد بعيـــد الحمـــار الأصلي،وذهب إلى المزرعة، وأمام نظر الحمار وحشود القرية المنادية بخروج الحمار، سكب الوقود على النموذج وأحرقه! فكبّر الحشد (الله أكبر)وارتفع صوتهم عالياً، فنظر الحمار إلى جهة النار والضجة،ثم رجع يأكل في المزرعة دون مبالاة،يا له من حمار عنيد لا يفهم.

أرسلوا وفدًا ليتفاوض مع الحمار، قالوا لـــه: صـــاحب المزرعة يريدك أن تخرج، وهو صاحب الحـــق، وعليـــك أن تخرج؟ نظر الحمار إليهم ثم عاد للأكل لا يكترث بهم،وبعد عدة محاولات، أرسل أبو صالح وسيطاً آخر قال للحمـــار: صاحب المزرعة مستعد للتنازل لك عن بعض من مساحته!، الحمار يأكل ولا يرد، قال الوسيط: لك ثلث المزرعة،الحمار لا يرد،زاد الوسيط نسبة التنازل إلى النصف،الحمار لا يـــرد، فقال الوسيط:يا سيدي الحمار!حدد المساحة، وفي الجهة التي تريدها، ولكن لا تتجاوزها إذا سمحت فنحن نتعامل علـــى الثقة، رفع الحمار رأسه، وقد شبع من الأكل، ومشى قلـــيلاً إلى طرف الحقل وهـــو ينظـــر إلى الجمـــع الغفـــير نظـــرة حمارية،وفرح الناس،لقد وافق الحمار أخيراً،وأسرع المـــزارع بإحضار الأخشاب،وسيَّج المزرعة، وقسمها نصفين، وتـــرك للحمار النصف الذي يقف فيه.

وفي صباح اليوم التالي كانت المفاجأة لصاحب المزرعة!،لقد ترك الحمار نصيبه واقتحم نصيب صاحب المزرعة، وأخـــذ

يأكل دون مبالاة بمن حوله، رجع المناضل مــرة أخــرى إلى اللوحات والمظاهرات، يبدو أنه لا فائدة، هــذا الحمــار لا يفهم، إنه ليس من حمير المنطقة، لقــد جــاء مــن قريــة أخرى،الوضع لم يعد يُحتمل، لابد من رفــع شــكوى إلى المجلس الحماري الأعلى، وفعلاً بعثوا مندوباً يمثل وجهة نظــر أبي صالح وتظلمه من الحمار، وعنــدما وصــل إلى قاعــة الاجتماع، وأخذ مكانه بين الجالسين ينتظرون دخول رئيس الاجتماع دوى صراخ عالي يخبر بدخول رئــيس المجلــس، فوقف المشاركون احتراماً له، ونظر مبعــوث المناضــلين إلى شخص الرئيس يريد أن يتعرف عليه، وإذ به يفــتح عينيــه محملقاً وتتدلى شفته السفلى لتظهر أســنانه المنخــورة مــن الدخان!، أعاد النظر بتركيز أكثر، ولا يدري أهو بعلــم أم بحلم، إن رئيس المجلس هو الحمار ذاته المغتصب للمزرعة!!، وارتمى على كرسيه، والتزم الصمت ذلاً وحزناً وانكــساراً، ورآه السيد الحمار من على منصته _ وكان يعرفه من خلال ظهوره في الإعلام وهو يشارك مع الجماهير في المظاهرات_

فنهق عالياً، وأظهر ضحكة حمارية طويلة!ووجه حديثه إليـــه قائلاً: ليس أنا من تظن، أنا ابن عمه!.

ورجع المناضل إلى قومه خائباً،وأخبرهم بما رأى من حمرنة عالمية.

واستغل أفراد من القرية هذا الوضع ليصيروا من أصحاب رؤوس الأموال، وقاموا بحملة جمع تبرعات مالية من القـــرى المجاورة، والأمر لم يقف عند هذا الحد،بل قام بعض المسئولين عن القرى المجاورة برفع الضرائب، وأسعار المواد الأساســية، ليبقى الناس تحت الضغط المستمر، وإهمال النهضة والإصلاح في البنية التحتية بحجة وجود الحمار في مزرعة أبي صالح!.

بدأ أبو صالح يفكر في ترك المزرعة بكاملـــها للحمـــار، والذهاب إلى قرية أخرى لتأسيس مزرعة أخـــرى، ولكـــن سرعان ما أثنوه عن عزمه،وأقنعوه بالاستمرار في المظاهرات.

وفي إحدى المظاهرات وأمام دهشة جميع الحاضرين من أهل القرية والقرى المجاورة!، حيث لم يبقَ أحد من القرية إلا وقد حضر ليشارك في المحاولات اليائسة لإخراج الحمـــار المحتـــل العنيد المتكبر المتسلط المؤذي، برز غلام صـــغير مـــن بـــين

الصفوف،ودخل إلى الحقل،وتقدم إلى الحمار، وضربه على قفاه بعصا صغيرة، فجفل الحمار وفر خارج الحقل!.

صاح المستفيدون وخاصة المندسين من القرى المجاورة: يا الله! لقد فضحَنا هذا الصغير،و سيجعل منا أضحوكة للعالم من حولنا، وسوف تتعطل مشاريعنا،ونفقد مبرر ممارساتنا القمعية على الناس، وسرعان ما تحرك أحد المندسين وقَتل الغلام، وأعادوا الحمار إلى المزرعة مع الاعتذار الشديد، وتقديم التسهيلات التي فوق الإمكانيات، والوعد على القيام بحراسته من أذى ورعونة الأطفال الأشقياء!.

ثم أذاعوا أن الطفل شهيد!، وهكذا؛ بدأ مشوار الشهادة والنضال، وتقديم الأطفال والشباب قرباناً للحمار!، وبدأ عقد المؤتمرات والمفاوضات التي لا نهاية لها،وكلما أوشكوا أن يصلوا إلى حل عادوا إلى نقطة البداية،وصار الأمر دوامة، واستمرت البقرة بدر الحليب!.

لمحة عن المؤلف



سامر بن محمد نزار إسلامبولي

- تولَّد: دمشق، سورية/ ١٩٦٣/م.

- باحث ومحاضر في الفكر الإسلامي.

- عُضو في اتِّحاد الكُتَّاب العرب.

- باحث في مؤسسة الدراسات الفكرية المعاصرة.

- مؤسس منتدى السلام الاجتماعي النهضوي
www.arabquran.net

- نشر مقالات في مجلَّة العالم، ومجلَّة إسلام ٢١، ومجلَّة شباب لك، وجريدة الوقت البحرينية، وجريدة المثقف، وجريدة الأسبوع الأدبي...

مُؤلَّفاته حسب تاريخ صدورها

١- علْم الله وحرية الإنسان، دمشق، دار الأهالي،ط١ /١٩٩٤ /م.

٢- الآحاد الإجماع النسخ دراسة نَقْدية لمفاهيم أصولية، دمشق، دار الحكمة،ط١ /١٩٩٥/م، دار الأوائل، ط ٢ /٢٠٠٢/م.

٣- الألوهية والحاكمية، دراسة علمية من خلال القرآن الكريم، دار الأوائل، دمشق، ط١ /٢٠٠٠ /م.

٤- تحرير العقل من النقل قراءة نقدية لمجموعة من أحاديث البخاري ومسلم، دار الأوائل، دمشق، ط١/٢٠٠٠/وط٢ / ٢٠٠٣/م.

٥- المرأة مفاهيم ينبغي أن تُصحَّح، دار الأوائل، دمشق، ط١/١٩٩٩/وط٢ / ٢٠٠٢م.

٦- ظاهرة النصّ القرآني تاريخ ومعاصرة (ردّ على كتاب: النصّ القرآني أمام إشكالية البنية والقراءة للطيب تيزيني)، دار الأوائل، دمشق، ط١/٢٠٠٢/م.

٧- القرآن بين اللُّغة والواقع، دار الأوائل، دمشق، ط ٢٠٠٥/١/م. تقديم الأستاذ: د. سمير إبراهيم حسن، عميد كُلِّيَّة الآداب والعلوم الإنسانية في

دمشق، والأستاذ: د. محمد الحبش، مدير مركز الدراسـات الإسـلامية في دمشق.

٨- القرآن من الهجر إلى التفعيل، دار الأوائل، دمشق، ط١/٢٠٠٨م.

٩- غطاء رأس المرأة أو شعرها حكم ذكوري لا قرآني.٢٠٠٨م

١٠- دراسة إنسانية في الرُّوح والنَّفْس والتفكير، تقديم الأستاذ: جـودت سعيد، والأستاذ: ندرة اليازجي. ٢٠١١م/دمشق .

١١- مفهوم السنة غير الحديث.٢٠٠٨م

١٢- علْمية اللسان العربي وعالميّته، تقديم الأستاذ: د. مازن الوعر.٢٠١١م

١٣- ميلاد امرأة (قصة نَفْسية واجتماعيـة)، تقـديم الأسـتاذ: نـدرة اليازجي.٢٠١١م

١٤- حوارات ثقافية. ٢٠١١م

١٥- فتاوى أزهرية وأفكار فلسفيَّة (قَصَص قصيرة).٢٠١١م

١٦- اليهودية انغلاق فكري وإرهاب اجتماعي.٢٠١١م

١٧- مفاهيم ثقافية (الله، الحرية، الشيء، العدم، الموت، الثالوث، التقمص)٢٠١١م

١٨- نبي الإسلام غير نبي المسلمين. ٢٠١١

١٩- مسودة مشروع ثقافي راشدي. ٢٠١١

أبحاث تحت الطَّبْع قريباً

١- الدولة واجب ديني، أم ضرورة اجتماعية ؟